الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص :نقد حديث ومعاصر فرع : دراسات نقدية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــ:

التفكير النقدي عند القاضي الجرجاني

إعداد الطالبتين:

- سوالـم أمينـــة
- مركـاتي شهـرزاد

إشراف الأستاذ الدكتور:

- داود امحمـد

أعضاء اللجنة المناقشة

د – عدة قادة ..... رئيسا

أ.د– داود امحمد ..... مشرفا ومقرّرا

أ.د– زروقي عبد القادر ..... مناقشا

السنة الجامعية:

2019م / 2020 م

1440هـ/1441هـ

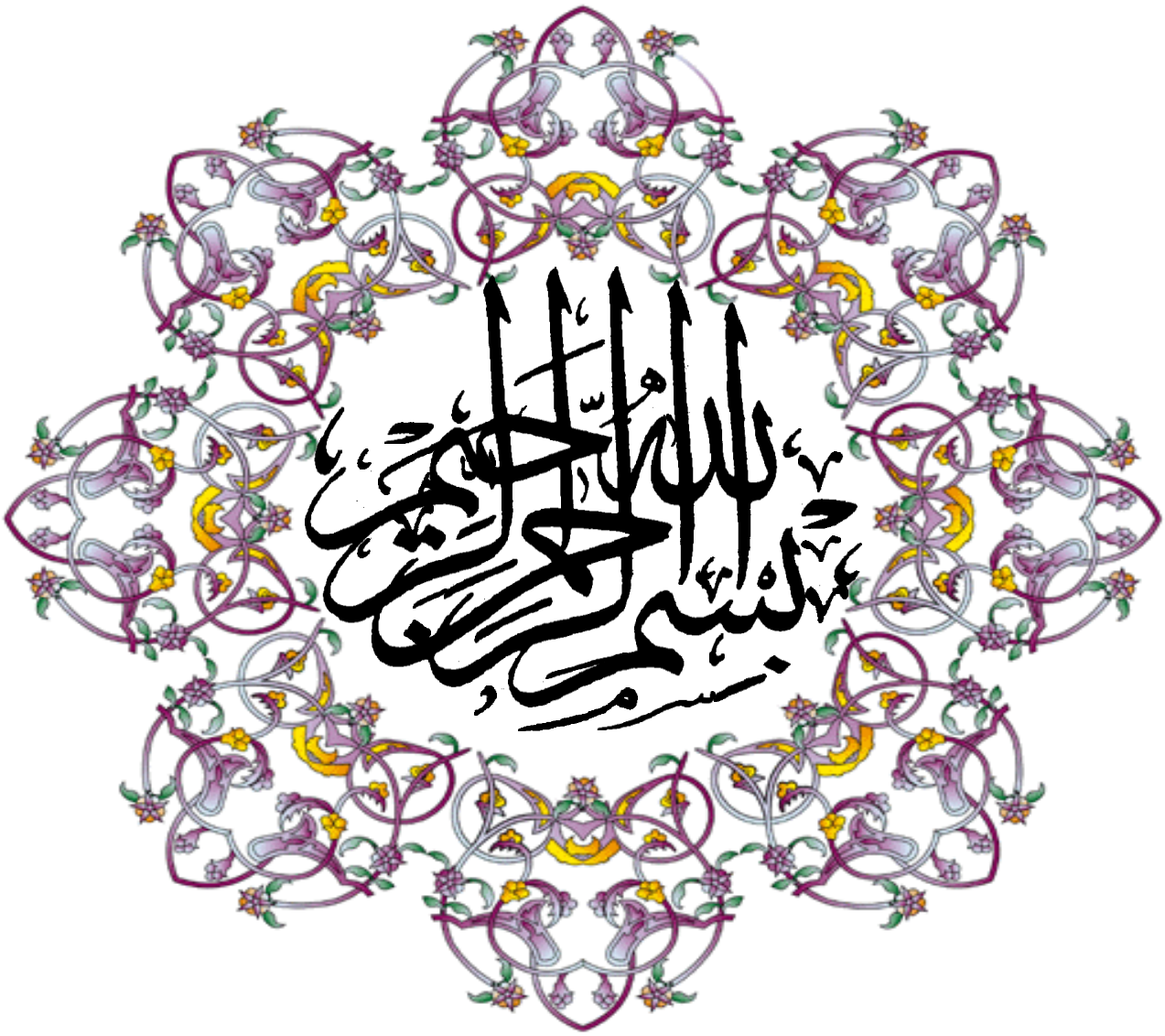
بسم الله الرحمن الرحیم

شكر وتقدير

قال الرسول صلى الله عليه وسلم

"منْ لم يشكر الناس لم يشكر الله"

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله و الشكر لله العلي القدير الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا على إتمام هذا العمل، والصلاة و السلام على خير خلق الله محمد عليه أفضل الصلاة و السلام.

نتقدم بخالص الشكر وفائق الاحترام إلى الأستاذ الدكتور الفاضل "داود امحمد"، الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه المذكرة، ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته وملاحظاته العلمية القيمة، نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، ويجازيه عنا خير جزاء على كل ما تقدم به لنا من علم.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والاحترام إلى أعضاء اللجنة المناقشة،

و إلى أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة ابن خلدون-تيارت-

"رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

إهداء

إلى الذي تعب كثيرا من أجلنا وفرح كثيرا بنجاحنا، وانتظر بفارغ الصبر أن يراني طالبة .

إلى : أبي الغالي رحمه الله وأدخله فسيح جنانه.

إلى التي غمرتني بالعطف والحب والحنان منذ كنت في المهدي صبيا ولا زالت تغمرني ستّ الحبايب (أمي الحنون) حفظها الله ورعاها وأطال عمرها.

إلى إخوتي وأخواتي

إلى جدتي و إلى كل أعمامي وعماتي وأخوالي وخلاتي وكل أصدقائي وزملائي في الدراسة.

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا.

إهداء

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

إلى من تحملت هموم الدنيا وسيها لتصنع البسمة عظمت معانيها إلى أول اسم على ثغري وأجمل إنسان يزيح الهم عن صدري إلى من تناجيها روحي:

- أمي - حفظها الله

إلى أروع إنسان في الوجود إلى منبع الحب حتى الخلود إلى من اسمه يلازمني بلا حدود إليك ياسر الامان ومصدر العطف والحنان:

أبي – رعاه الله –

إلى الإخوة و الأخوات و أعز صديقة "فضيلة"

إلى عائلة مركاتي

والى كل من ساعد من قريب أو بعيد

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله صلى الله عليه و سلم .

عَبْرَ هذا البحث الذي نقدمه بعنوان " التفكير النقدي عند القاضي الجرجاني " سوف نتناول بالذكر مجموعة من وجهات النظر المتباينة حيال هذه القضية ، و لعل تلك الآراء قد تكون عاملا مساعدا ومرجعا لأي باحث آخر يرغب في التعمق فيه

كانت حركة النقد حيوية ومنها الصراع النقدي حول" أبي تمام و المتنبي" ومن ذلك ألف القاضي الجرجاني كتاب الوساطة ليوقف ذلك الصراع ويظهر حقيقة تلك الخصومات ويدافع عن أبي الطيب المتنبي ويلتمس له العذر فيما أخطأ فييه وقد بذلنا جهدا كبيرا في البحث والإستكشاف حتى تمكنا بفضل الله من أن نضع أهدافا رئيسية للبحث وأسئلة محورية وأن نستخدم منهجا بحثيا صحيحا ، وأن نتوصل في نهاية الأمر إلى نتائج بحث هامة جدا ،لا شك سوف تضيف الكثير إلى أهل العلم والباحثين في هذا المجال

ومن هذه الدراسة قد كشفنا عن أغلب القضايا و الآراء النقدية التي تبناها القاضي في كتابه وعالجها بطريقة متميزة و حاولنا أن نصيغ من هذا الإهتمام إشكالا لبحثنا هذا الذي كان عنوانه " التفكير النقدي عند القاضي الجرجاني " واستعنا في مشروع بحثنا بجملة من المصادر و المراجع من أهمها : "اتجاهات النقد النقد الأدبي في القرن الرابع هجري" لأحمد مطلوب ، "و تاريخ النقد الأدبي عند العرب " لإحسان عباس ، و"تاريخ النقد الأدبي عند العرب " لعيسى العاكوب ، وأحمد أمين " النقد الأدبي "

وعليه نضع الإشكاليات الآتية :

ما هي أهم الاتجاهات التي كانت في القرن الرابع الهجري ؟

وما هي أهم القضايا التي جاء بها الجرجاني ؟

قد تضمن بحثنا هذا الخطة التالية : مقدمة عبارة عن توطئة و فقرة تمهيدية للموضوع

ثم الفصل الأول بعنوان : الحياة النقدية في القرن الرابع الهجري الذي قسمناه كالآتي : المبحث الأول تضمن مفهوم النقد لغة و اصطلاحًا ، و المبحث الثاني تحت عنوان : حركة النقد في القرن الرابع الهجري ، أما المبحث الثالث : التعريف بالمؤلِف و المؤَلَّف " الوساطة "

أما الفصل الثاني : كان حول الآراء النقدية التي عالجها القاضي الجرجاني ، قسمناه إلى مبحثين المبحث الأول : تحت عنوان الآراء النقدية التي عالجها القاضي الجرجاني في كتاب الوساطة :الناقد الشعر بين القدماء و لمحدثين ، تطور الشعر و أثر التكلف ، عمود الشعر ، التحامل في نقد المحدثين السرقات الشعرية ، دفاعه عن المتنبي ، و التعقيد و غموض المعاني

المبحث الثاني : البلاغة في كتاب الوساطة : الإستعارة ، التشبيه ، الجناس ، الطباق ، التصحيف جمع الأوصاف ، التقسيم

وخاتمة : تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا.

متبعين في طريقة تناولنا لهذا الموضوع :" المنهج التحليلي "

وقد اهتم الباحثون والدارسون بكتاب الوساطة و مؤلفه ، فدرسوه دراسات مستفيضة اطلعنا على بعضها مما أسعفنا الجهد و البحث ، الحصول أو الاطلاع عليها نذكر منها:

دراسة طه أحمد ابراهيم " تاريخ النقد الأدبي عند العرب كانت من أسبق الدراسات فقد وقف عند علمين من أعلام النقد النقد في القرن الرابع هما الآمدي والقاضي الجرجاني واستخلص آراءهما التي تمثل قمة النقد في القديم وظهرت أيضا كتب كثيرة تحدثت فيما تحدثت عن النقد في القرن الرابع للهجرة ، منها تاريخ النقد الأدبي عند العرب "نقد الشعر" لإحسان عباس

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع :

_ التزاما بالتخصص

_ أن التراث العربي النقدي قد شغل اهتمامنا منذ مدة

_ أن الإطلاع على هذا النقد بنوعيه يحقق فائدة خاصة لصاحب البحث لأنه يشكل له ذخيرة هامة تعينه على أبحاثه المستقبلية المتعلقة بالنقد القديم الذي اختاره اختصاصًا لنشاطه العلمي الفكري

أما أهداف بحثنا هذا :

_ الكشف عن ملامح التفكير النقدي في " الوساطة " و مدى توظيف منجزه المعرفي في بناء أسس جديدة تشكل أبعادا تأسيسية للنظرية النقدية العربية

_ و نسعى من كل ذلك إلى تحري القيمة المعرفية و النقدية لكتاب" الوساطة " بين المتنبي وخصومه و كما هو معروف في كل الدراسات فإن الباحث يصادف في مشواره العلمي عراقيل سواء نظريا أو ميدانيا ، فمن بين الصعوبات التي صادفناها أن مدة التربص لم تكن كافية للإحاطة بجوانب الموضوع كما ينبغي ، وصعوبة التنقل إلى المكاتب بسبب الجائحة ...

وفي الأخير نتقدم بالشكر والإمتنان الكبير إلى الأستاذ المؤطر " داود المُحَّد " ولثقته ونصائحه القيّمة والمفيدة ، ونعُم بذلك شكرنا الجزيل لكل من أعاننا على تجاوز مثبطات البحث ولو بكلمة طيبة ...

الحياة النقدية في القرن الرابع الهجري

المبحث الأول: مفهوم النقد

– لغة واصطلاحًا

المبحث الثاني: حركة النقد في القرن الرابع هجري

– الحركة النقدية في القرن الرابع الهجري

– اتجاهات النقد في القرن الرابع الهجري

المبحث الثالث : القاضي الجرجاني و"الوساطة"

– التعريف بالمؤَلِفْ

– التعريف بالكتاب "المؤَلَفْ"

المبحث الأول: النقد

مفهوم النقد:

لغة :

النقد خلاف النسيئة وتمييز الدراهم وغيرها كالتنقاد والانتقاد والتّنقد وإعطاء النقد، وانتقد الدراهم قبضها،[1] وانتقدتها اذا ميّزت جيدها من رديئها، وأخرجت زائفها، ومنها العيب، كما في قولهم: إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك، ومعنى نقدتهم عبتهم،[2] وتستعمل أيضا بمعنى أوسع، وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبح.[3] وتدور الدلالة في هذه المادة حول محورين:

الأول يتصل بنقد الدراهم، لتمييز جيدها من رديئها .

الثاني: يتصل بذم الآخرين وعيبهم .

والمعنيان قريبان، ولكن المعنى الأول أوسع دائرة من الثاني لما يشتمل عليه من معنى فحص الجيّد من الرديء، أما الثاني فيقتصر على معنى الذم وإظهار العيوب.[4]

النقد اصطلاحا:

لقد مارس القدامى النقد، ونسبوا نقدا لقوم عاشوا قبل الإسلام، ولكننا لا نكاد نعثر على استخدام صريح لمصطلح النقد قبل القرن الثالث الهجري، فهذا ابن سلام (232هـ) في طبقاته التي يعدّها الدارسون أقدم وثيقة في تاريخ النقد، لا نكاد نعثر فيها على ذلك المصطلح، مع أنه هو الذي نقل عبارة خلَف الأحمر السالفة، وكان هو نفسه مارس النقد ممارسة عملية على وفق تصوره، وتصور علماء عصره لمفهوم النقد، ولكنهم كانوا يعبّرون عن هذه الممارسة بعبارة (العلم بالشعر)، ويبدو أن أقدم محاولة اتخذت هذا المصطلح عنوانا لهذه الممارسة العملية للنقد ووصلت إلينا كانت

---

[1] – الفيروز ابادي مجد الدين : القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، لبنان ، ط 8،2005م، ص 322.

[2] – محمد كريم الكواز : البلاغة والنقد "المصطلح والنشأة والتجديد "، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت– لبنان، ط1، ص46.

[3] – أحمد أمين : النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ، مصر، ط3، 1963، ج1، ص13.

[4] – ينظر: محمد كريم الكواز : البلاغة والنقد، ص 46.

على يدي قدامة بن جعفر في كتابه الموسوم (نقد الشعر) وقد صرح فيه بأن النقد تمييز جيّد الشعر من رديئه،[1] والنقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة، يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز ويعرضها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقسيم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا النسق كي يتخذ الموقف نهجا واضحًا، مؤصلا على قواعد جزئية أو عامة، مؤيدًا بقوة الملكة بعد قوة التمييز.[2]

فالنقد إذا دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ثم الحكم ببيان قيمتها ودرجتها، يجرى هذا في الحسيات والمعنويات، وفي العلوم والفنون وفي كل شيء متصل بالحياة.

ومهما تكن وظيفة النقد وغايته التي يعمل لتحقيقها فلابد للناقد أن يكون[3] ذا حظ كبير من العقل، وحظ كبير من الذوق ويتجادل الباحثون في أنه هل لابد للناقد من معرفة آداب أخرى حتى يمهر في نقد لغة أوليس بضروري . وعلى كل حال ف اطلاعه على الآداب الأخرى يوسع أفقه ويزيد في تجاربه[4].

[1] – محمد كريم الكواز : البلاغة والنقد، ص 47.

[2] – إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب "نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري "، دار الثقافة،بيروت –لبنان، ط4 ، ص14.

[3] أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة ، ط7، 1964، ص115-116.

[4] أحمد أمين : النقد الأدبي، ص14

المبحث الثاني : حركة النقد في القرن الرابع الهجري

حركة النقد في القرن الرابع الهجري

"لقد تطور النقد الأدبي عند العرب في القرن الرابع للهجرة وازدهر بعد أن كان ملاحظات بيانية وآراء عامة لا تقوم على أصول واضحة ومنهج قويم يجمع حباتها وينتظم فصولها، وهو قرن جدير بالعناية والاهتمام لأنه يمثل أزهى عصور النقد الأدبي عند العرب، ففيه استقرت أصوله وظهرت الدراسات التي قام بها الأدباء "،[1] ووصل النقد في هذا القرن إلى أوجه فصار خصبًا متسع الآفاق، معتمدًا على الذوق الأدبي السليم مؤتنسًا بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح؛ إن حلل فبذوق سليم، وإن علل فبمنطق سديد، وإن عرض لفكرة أتى على كل ما فيها . واختفى أو كاد تبعًا لذلك، أو نتيجة له من حلبته اللغويون والنحاة وحمل رايته الأدباء ويتميز نقدهم باستقصاء البحث، وشمول الفكرة، وتوضيح العلل، والموازنة العامة بين الشعراء، وعُنوا بدراسة الشعر وتقدير رجاله، وتخاصموا فيهم؛ فهّذا ينتصر لأبي تمام، وذاك يتشيع للبحتري، وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبي وينسبون إليه كل فضيلة في الشعر، وأولئك ينتقصون منه ويرمونه بالتعقيد والمعاظلة والالتواء، وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب ؛وسارت مقالاتهم وكتبهم في كل صقع وواد .ومن هؤلاء أبو الفرج الأصفهاني، وابن العميد والصاحب ابن عبّاد، وأبو علي الحاتمي، وأبو الحسن بن لَنْكَكْ البصري، والآمدي والجرجاني ..[2]

وقد شغل النقد أيضا في القرن الرابع كثيرا بالكشف عن السرقات، ويتضح هذا في النقد الذي دار حول أبي تمام والبحتري والمتنبي، غير أن هناك شعراء آخرين ألفت كتب في الحديث عن سرقاتهم، ومما وصلنا في هذا الموضوع :"سرقات أبي نواس" لمهلهل بن يموت (334هـ)؛ وتذكر المصادر كتابا عاما للسرقات لجعفر بن محمد ابن حمدان الموصلي (323هـ)، يقول ابن نديم: "ولم

[1] أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي "في القرن الرابع للهجرة"، وكالة المطبوعات، ط1، 1973 بيروت، ص 5.

[2] المرجع نفسه، ص 5.

يتمه، ولو أتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه .ولعل التأليف في السرقات يربو على المؤلفات في أي موضوع آخر ".[1]

– الاتجاهات النقدية في القرن الرابع :

1- الصراع النقدي حول أبي تمام:

كانت الظاهرة التي يمثلها أبو تمام في الشعر قد شغلت النقاد والمتذوقين في القرن الثالث، ثم ورثها نقاد القرن الرابع وأمعنوا فيها [2]، وأيضا ما شغل النقاد هي الخصومة التي كانت بين أنصار البحتري وأبي تمام، فقد خرج أبو تمام على تقاليد العرب في الشعر وجاء بالجديد الطريف، وتمسك البحتري إلى حد كبير بتلك التقاليد وكان لكل من الشاعرين أنصاره وخصومه ووضعت في ذلك الكتب والدراسات، وكان دعبل بن علي الخزاعي (246هـ) يتعصب على أبي تمام ولم يعتبره شاعرًا بل خطيبًا وكان يميل عليه ولم يدخله في كتابه ،" كتاب الشعراء" وكان يقول : "ثلث شعره سرقة وثلثه غث وثلثه صالح".[3]

وتحدث ابن المعتز (296هـ) عن أبي تمام في مقدمة كتابه "البديع" فله رسالة في "محاسن أبي تمام ومساويه".[4]

ويذكر في هذه الرسالة ما عيب فيه أبو تمام من إسفاف في المعنى أو البديع أو التقصير أو الإغراب في اللفظ والتعقيد الذي لا يقبل من البدوي بل القروي المتأدب، أو الابتداء المذموم .

وأن معايب أبي تمام كثيرة ولكنه ذكر منها ما يدل على ذلك، وليس فيما قاله متعصب عليه بل كان يفضله ويلهج بالثناء عليه، قال: "وأكثر ما له جيّد والرديء الذي له إنما هو شيء يستغلق لفظه فقط، فأما أن يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا."[5]

---

[1] – إحسان عباس :تاريخ النقد الأدبي عند العرب "نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن للهجرة"، دار الثقافة ،بيروت–لبنان، ط4، ص131.

[2] – نفس المرجع، ص 147.

[3] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 187.

[4] – نفس المرجع، ص 194.

[5] – إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص147.

وبذلك كان ابن المعتز من الذين أنصفوا أبا تمام فذكروا محاسنه ومساوئه، ورجحوا المحاسن.[1]

وكذلك كتب أحمد بن عبيد الله بن عمار القطربلي (319هـ) رسالة يبين فيها أخطاءه في الألفاظ والمعاني، وابن عمار هو صديق ابن الرومي وكان هذا الشاعر يلقبه "العزير" لكثرة تسخطه على ما تجيئ به الاقدار، إذ كان محارفا في الرزق، ويقول ابن نديم أنه توكل للقاسم بن عبيد الله ولولده وصحب أبا عبدالله محمد بن الجرّاح، وله عدة مؤلفات منها ما يتصل بالنقد كتاب في تفضيل ابن الرومي وكتاب في مثالب أبي نواس، وانفرد الآمدي بذكر مؤلفه في أبي تمام، ووصفه بالتحامل على أبي تمام وأنه طعن فيما لا يطعن عليه، واحتج بما لا تقوم به الحجة ؛ ويؤخذ من بعض الأمثلة التي أوردها الآمدي أن ابن عمار كان يريد البيت من شعر أبي تمام دون أن يدل على وجه العيب فيه، فقد أورد قوله :

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت في أنه برد

ثم اكتفى بأن علّق على البيت بقوله : هذا الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت؛ وإذا كان الآمدي قد وصف ابن عمار بالإسراف فحسبنا هذا، لأن الآمدي نفسه لم يكن ممن يقدمون أبا تمام أو يتعصبون له، وموقف ابن عمار هذا مرّدُه إلى الاحتكام للهوى .[2]

الصولي: ألّف أبو بكر محمد بن يحي الصولي (335هـ أو 336هـ) كتاب "أخبار أبي تمام " الذي كان دفاعًا عن الشاعر بل كان إلى جانبه مع أنه نقد فصلا صغيرًا عمّا روي من معايبه كقول دعبل أنه لم يكن شاعرًا وإنما كان خطيبًا وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر، وقول ابن الأعرابي وقد أنشد شعرًا لأبي تمام :"إن كان هذا شعرًا فما قالته العرب باطل".[3]

[1]- ينظر : أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 196.

[2]- احسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص148.

[3] - أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 199.

وليس في هذا الفصل ما يبهر عيوب شعره كما صورها الآخرون لأن الصولي كان متعصبًا له، يدافع عنه ويفضله على الشعراء ولذلك قال في رسالته إلى أبي الليث مزاحم من فاتك :"واذكر جميع ما قيل فيه وإن كان قصدي تبيين فضله والرد على من جهل الحق فيه". [1]

وهو يشكو في رسالته تسوّر المثقفين من أبناء عصره على ما لا يحسنون، بأدنى طلب وأقل حظ من ثقافة، ويعتذر عن العلماء الذي يستشهد أحيانًا بصدوفهم عن الشعر المحدث بقوله: إن هذا الشعر لم يُذْلِلْهُ النقد والرواية، أما الصنف الآخر الذي يعيب أبا تمام فإنهم يفعلون ذللك طلبًا للشُهرة، اتباعًا لقول من قال : "خَالفْ تُذْكَرْ"

ومجمل رأي الصولي أن النقد لا يكون بإبراز بعض العيوب والتشهير بالشاعر من أجلها وإغفال ما له من حسنات كثيرة إزاءها ؛ فكيف إذا كانت تلك العيوب مجتلبة، ونسبة التقصير إلى الشاعر مفتعلة، ويعد أبو تمام في رأي الصولي مؤسس مذهب سلكه كل محسن بعده فعائبه يكشف عن جهله، " وقد كان الشعراء قبل أبي تمام يبدعون في البيت والبيتين من القصيدة فيعقد بذلك لهم من أجل الإحسان، وأبو تمام أخذ نفسه وسام طبعه أن يبدع في أكثر شعره، فلعمري لقد فعل وأحسن، ولو قصّر في قليل وما قصّر لغرق ذلك في بحور إحسانه ومن الكامل في شيء حتى لا يجوز عليه خطأ فيه، إلا ما يتوهمه من لا عقل له .."[2]

2- **المعركة النقدية حول المتنبي:** بعدما انتهى ذلك الصراع الذي كان قائمًا بين أنصار أبي تمام والبحتري، قام صراع آخر، وكان ميدانه شعر المتنبي، وكان بداية ذلك الصراع في القرن الرابع[3]، "وقد اختصم الناس في شاعريته وانقسموا بصددها إلى قسمين: قسم يفرط في تقريظها، وقسم يبالغ في ذمها."[4] وكانت الخصومة من نوع يختلف عن تلك الخصومة بين أنصار البحتري وأبي تمام اللّذين كانا يمثلان اتجاهين مختلفين في الشعر، فالخصومة هنا ليست من أجل مذهب فني وإنما هي في

[1] أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 199.

[2] إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 150.

[3] ينظر: أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 251.

[4] عبده عبد العزيز قلقيله : القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1991، ط3،ص189.

المتنبي وطبعه وشهرته في زمانه[1]، " فالخصوم أرادوا تحطيم شعره انتقاما من شخصه وتعاظمه وتعاليه، ولذلك كان أكثرهم منصرفًا إلى التأكيد على أن شعره "مرقعة" مصنوعة من معاني الآخرين."[2]

وأول من تحدث في هذا الموضوع:

1- أبو علي الحاتمي الذي صنف رسالتين في نقد شعر المتنبي، وهما الرسالة الموضحة والرسالة الحاتمية[3].

أ- **الرسالة الموضحة** : تعتبر أول رسالة وافية صُنّفَت في نقد شعر أبي الطيب، وهي وليدة لقاء حدث بين الحاتمي والمتنبي تعمّده الحاتمي، إثر عودة المتنبي من مصر إلى العراق، وكان الحاتمي حينئذ دون الثلاثين ، فهو يذكر في الرسالة أن سنّ الصبا كان من محاسنه.[4]

والرسالة مناظرة على أربعة مجالس، وكانت السرقات الأدبية قاسمًا مشتركًا بين المجالس الأربعة، وأيضًا السبب الذي دفع الحاتمي إلى كتابة هذه الرسالة هو أن المتنبي قد رفض مدح الوزير أبي محمد الحسن المهلبي، وقد ركز الحاتمي في هجومه على المتنبي على السرقات[5]، ألم نسمع منه قوله للمتنبي "ما أعرف ذاك إحسانًا في جميع ما ذكرته، إنما أنت سارق متّبع، وآخذ مقصر، وفيما تقدم في هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقوله."[6]وقد حاول الحاتمي أن يرجع كل معنى في شعر المتنبي إلى سابقيه، وخاصة إلى أبي تمام الطائي.[7]

فكل هذه أمور تجعلنا نقرر مطمئنين أن الحاتمي خصم عنيف الخصومة، وأنه عالم يستمد أسانيده من سلطة الوزير وسلطان الأمير، وأنه ناقد تحركه السياسة لا أصول الفن وأسس النقد.[8]

---

[1] – أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي، ص 251.

[2] – إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 253.

[3] – عدنان عبيدات : الاتجاهات النقدية عند شراح ديوان المتنبي القدماء ، وزارة الثقافة، عمان 2002م ،دط ،ص298

[4] – إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ص 263.

[5] – عدنان عبيدات : الاتجاهات النقدية عند شراح ديوان المتنبي القدماء، ص 299.

[6] – محمد عبد الرحمن شعيب : المتنبي بين ناقديه (في القديم والحديث)، دار المعارف بمصر 1964م، ص 237.

[7] – عدنان عبيدات : الاتجاهات النقدية، ص 263.

[8] – محمد عبد الرحمن شعيب : المتنبي بين ناقديه، ص 237.

ب– الرسالة الحاتمية: فيها وا فق المتنبي في شعره كلام آرسطو في الحكمة

وهي الرسالة الثانية التي ألفها الحاتمي، حاول فيها كما يزعم أن يصحح ما أساء به للمتنبي في الرسالة الأولى بعد وفاته، وتحوي الرسالة على مائة قول منسوب إلى أرسطو، قابلها بمئة بيت من أبيات الحكمة الشعرية المختارة من شعر المتنبي، وقد ردّ الحاتمي في رسالته الحكمة في شعر المتنبي إلى الفلسفة اليونانية، وهذا هو الدافع الذي أدى إلى تأليف الرسالة.[1]

ولقد اختلف في هذه الرسالة فلم يتهمه بالسرقة وإنما ذكر قول أرسطو وما يقاربه من شعره وفي ذلك إنصاف للشاعر الذي أسرف النقاد في تجريحه واتهامه بالسرقة، وبذلك خفف من حدة كلامه على سرقاته التي أسرف فيها وجرّده من كل فضل، وإن كانت هذه الرسالة تخفي غرضًا فنيًا سعى إليه وهو تجريد المتنبي من شعره في الحكمة وهو ما اشتهر به وذاع صيته في العالمين.[2]

وموقف الحاتمي معروف، كله تحيف وتحامل، ومحاولة لاستدراج المتنبي إلى خصومه علمية تثبت عواره وضعفه حتى تناله الخصوم باللّوم والتجريح.[3]

2– أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المعروف بالنامي (371هـ أو، 399هـ) شاعر سيف الدولة المقدّم، قبل أن يفد المتنبي على بلاطه، فلما وفد ومال إليه الحمداني غاظ ذلك أبا العباس.[4] حتى قيل أنه عاتب سيف الدولة في ذلك، ولذا فليس بغريب أن يكتب في المتنبي رسالة يتعقب فيها أخطاءه، وهي رسالة لم تشر إليها المصادر، ولولا ابن وكيع لما عرفنا خبرها، فإنه يشير إليها وينقل عنها في مواضع من كتابه " المنصف"[5].

ويبدوا أن هذه الرسالة قصيرة تحدث فيها صاحبها عن عيوب شعر المتنبي المختلفة، ويبدو أيضًا أنها تشبه رسالة الصاحب ابن عبّاد الذي وقف عند عيوب شعره بعامة .[6]

---

[1] – عدنان عبيدات : الاتجاهات النقدية، ص 306.

[2] – أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي، ص 265.

[3] – محمد عبد الرحمن شعيب : المتنبي بين ناقديه، ص 236.

[4] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 254.

[5] – إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 271.

[6] – عدنان عبيدات : الاتجاهات النقدية، ص 310.

3- الصاحب بن عبّاد

هو كاتب كبير وشاعر أخذ اللغة عن أحمد بن فارس، وألّف معجمًا سماه المحيط، وأخذ عن رواة المبرّد، وكتب عن أصحاب ثعلب، وتلقى على أبي الفضل بن العميد، وجالس الشعراء، وباحث الأدباء سنين عددا، وكان مجلسه من أزهى بيئات النقد، وقد ألف فيه رسالة سماها الكشف عن مساوي المتنبي، وهي قائمة على الغض من الشاعر العظيم، والتحامل عليه، والتهكم به والسخرية منه.[1]

ويحكى أن سبب تأليفها أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه، وتضمن له مشاطرته جميع ماله، فلم يقم له المتنبي وزنا، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز، واتخذه الصاحب غرضًا يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته، وينعي عليه سيئاته، وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها، وأكثرهم استعمالا إياها وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته.[2]

ولا ندري بالتحديد متى ألفت هذه الرسالة، ولكن فيها ما يشير إلى أنها كتبت في حياة ابن العميد، وقد توفي ابن العميد في سنة 360هـ، فهي إذن قبل هذا التاريخ وهي على كل حال في العقد السادس من القرن الرابع وأكبر الظن أنها بعد وفاة المتنبي بقليل، ومهما يكن من شيء فليس في هذه الرسالة جديد في نظرة أو فكرة، إنما تقوم على أمور شاعت عند المحدثين، وأخذت على المتنبي وغير المتنبي من الشعراء، ولم يفعل الصاحب أكثر من أن اجتلب أمثلة وشواهد من شعر المتنبي يؤيد بها هذه المآخذ في لهجة الشاعر المتهكم، لا الناقد الجاد فأورد لنا من شعر المتنبي أمثلة الغموض والتعقيد، والركاكة، وقبح الألفاظ واستكراهها، وسقوط المعاني واختلال الوزن، وسوء المطالع، وبعد الاستعارة؛ مآخذ لا هي بالجديدة، ولا هي بالعميقة البعيدة الغور..[3]

---

[1] – طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دط، دت، ص 141

[2] – أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري :يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، ج1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1983، ص 152.

[3] – طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 141.

3- النقد والبديع

ظلت فنون البلاغة مرتبطة بالنقد ارتباطا وثيقا خلال القرن الثالث للهجرة، واستمرت كذلك حتى ظهر أبو هلال العسكري الذي فصل بين الفنين وأولى البلاغة عنايك كبيرة في كتاب الصناعتين، ولم تكن جميع الدراسات النقدية المرتبطة بالبديع ذات منهج واضح وإنما كان بعضها دراسات عامة ومن أصحاب هذه الدراسات:

أ- ابن أبي عون

ألّف ابن أبي عون الكاتب [322 هـ]كتاب "التشبيهات" عرض فيه لجملة من تشبيهات العرب في أشعارهم في موضوعات مختلفة .[1]

ب- المرزباني

ولأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني [384 أو 388هـ] كتاب "الموشح في مآخذ العلماء من الشعراء، وهو جمع للآراء السابقة التي عنيت بالنقد ككتاب "طبقات فحول الشعراء " لابن سلام والبديع لابن المعتز و"عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي و"نقد الشعر" لقدامة بن جعفر وكتاب "الموشح " في المآخذ بصفة عامة وقد بناه على أساس ما اعترض به العلماء على الشعراء القدماء والمحدثين، وله فيه كثير من الوقفات النقدية عند الروايات والنصوص.[2]

ج- الغانمي

ولأبي العلاء محمد بن غانم الغانمي كتاب "من صنعة الشعر" ولم يصل هذا الكتاب أو يتحدث عنه القدماء حديثا يعطي صورة واضحة تبيّن منهجه وطريقته.[3]

وتعد هذه من أهم الدراسات العامة في القرن الرابع .

ومن أهم الدراسات المنهجية :

ابن طباطبا:

ألّف أبو الحسن محمد بن أحمد طباطبا [322هـ] كتاب "عيار الشعر" الذي كان دراسة نقدية تختلف عما سبقه من دراسات؛ لأنه لا يقوم على اتخاذ البلاغة وحدها أساسا في صنعة الشعر وقياس جيده أو رديئه بل كان يسعى إلى دراسة فنية تقوم على ما اتخذه مؤلفه من دراسات

[1] - أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 37.

[2] - المرجع نفسه، ص 42.

[3] - أحمد مطلوب :اتجاهات النقد الأدبي، ص 44.

السابقين دليلا كالبيان والتبيين والشعر والشعراء، وعلى خبرته وذوقه الرفيع ولقد وضع ابن طباطبا "عيار الشعر" موازين للشعر، وذكر ما على الشاعر أن يأخذه وما عليه أن يتجنبه، وقد وضع أمثلة كثيرة لتكون دليلا لمعرفة الجيد من الرديء وليتصرف بها الشاعر في وضع "كتاب تهذيب الطبع" في الاختيارات الشعرية .

وهناك أيضا قدامة بن جعفر [327هـ] ألّف كتاب "نقد الشعر".

ابن وهب الكاتب ألّف "البرهان في وجوه البيان ".

أبو هلال العسكري ألّف كتاب "الصناعتين ".

وهذه أهم الدراسات التي تتخذ من البديع أساسا في معالجة قضايا النقد.[1]

4- النقد والإعجاز

شكل النص القرآني قيمة جمالية عند المتلقين منذ بداية نزوله، خاصة وأنه تحدى البشر في أن يأتوا بمثله، وقد جاء هذا النص حاملا لأبعاد دينية عقائدية، وفي الوقت ذاته حاملا قيمة جمالية لغوية تؤكد الإعجاز فاجأت العرب، لأنها من جنس لغتهم، وفي الوقت ذاته اخترقت هذه اللّغة بنمط جديد يحقق الإعجاز، وقد كانت هذه المفارقة حافزا قويا لأن يقترب من هذا النص المخاطبون به حتى يمكن لهم الوقوف على حقيقته الإعجازية الجمالية، واهتم الدارسون العرب بالقرآن الكريم وبدراسته[2]؛ وذلك بغية الدفاع عنه وبيان إعجازه، فوضعوا الكتب يتحدثون عن بلاغة القرآن الكريم ويبينون وجه الإعجاز فيه وممّن شهد أوائل القرن الرابع:

أبو عبد الله محمد ابن يزيد الواسطي [306هـ] ألّف كتابا في هذه المسألة سمّاه: إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه .[3]

ومن أهم مؤلفي كتب الإعجاز في القرن الرابع : الرماني، والخطّابي، والباقلاني، والقاضي عبد الجبار الرماني: ألّف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني [386هـ] رسالة " النكت في إعجاز القرآن ".

[1] – أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي، ص 47

[2] – محمد تحريشي : النقد والإعجاز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،سوريا، دط، 2004م، ص 05

[3] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 124

الخطّابي: وضع أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطّابي [388هـ] رسالة "بيان إعجاز القرآن "ورأى أن بلاغة كتاب الله ترجع إلى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس.

القاضي عبد الجبار: ألّف القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي [415هـ] في إعجاز القرآن، وكان الجزء السادس عشر من كتابه "المغْني في أبواب التوحيد والعدل " خاص بهذه المسألة.[1]

الباقلاني :وقد كان أعظم هؤلاء الدارسين، وله عدة كتب لها صلة بإعجاز القرآن هي :

أ- التمهيد ب- الانتصار لنقل القرآن

ج- البيان د- إعجاز القرآن .[2]

هذه أهم دراسات إعجاز القرآن في القرن الرابع، وهي دراسات ليس فيها التفصيل والأسس النقدية الواضحة، وقد كان الباقلاني أعظم هؤلاء الدارسين، أما الدراسات القرآنية الأخرى فلم تكن ذات قيمة كبيرة في النقد، ولعل أهمها كتاب "تلخيص البيان في مجازات القرآن "و"المجازات النبوية" للشريف الرضي [406هـ]

وهما كتابان ليس فيهما العناية بالنقد لأن مؤلفهما سعى إلى كشف ما في كتاب الله وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مجازات، وهو بعض ما يسعى إليه الناقد .[3]

[1] - أحمد مطلوب :اتجاهات النقد الادبي، ص 124.

[2] - ينظر : أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 140.

[3] - أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الادبي، ص 140.

.المبحث الثالث : القاضي الجرجاني و"الوساطة " [المؤلِّف والمؤلَّف]

1- القاضي الجرجاني [حياته]

أ–اسمه ونسبه :

هو عليّ بن عبد العزيز بن الحسن الجرجانيّ أبو الحسن [1] وقد اشتهر بنسبته إلى جرجان فعرف بالجرجانيّ ؛ وجرجان مدينة عظيمة بين خراسان وطبرستان، وقيل أوّل من أحدث بناءها يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة .

ينتمي القاضي الجرجانيّ إلى أصول عربية صليبة، فهو من قبيلة ثقيف، ودليلنا على ذلك ما قاله صديقه أبو القاسم العلوي الأطروش من قصيدة يمدحه :

لقد نَمَتْك ثقيف يا عليُّ إلى مجدٍ سيبقى على الايّام والزّمن [2]

وليس بين أيدينا نص ثابت يبين لنا سنة ولادته، ولكن نستطيع أن نقدّر تقديرا اعتمادا على سنة وفاته وعلى بعض الأخبار القليلة، أنّ ولادته كانت في جرجان حوالي سنة[323 هـ] [3]، مات بالريّ يوم الثلاثاء سنة اثنين وتسعين وثلاثمئة[392 هـ] وهو قاضي القضاة بالريّ حينئذ، وذكره الحاكم في" تاريخ نيسابور " وقال: ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة [337 هـ] مع أخيه أبي بكر، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر، وأبو الحسن قد ناهز الحلم، فسمعا معا الحديث الكثير ولم يزل أبو الحسن إلى أن ذكر في الدنيا وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار، وحضر جنازته الوزير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير مجد الدولة وأبو الفضل العارض راجلين، ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن أحمد الديلمي فاستدعي من قزوين وولي قضاء القضاة بالريّ.

وله يقول الصاحب ابن عباد وقد أنشأ عهدا للقاضي عبد الجبار على قضاء الريّ:

إذا نحن سلّمنا لك العلم كلّه فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورها

---

[1]– عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، سوريا – دمشق، ص 265.

[2] – سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، دار البشائر، دمشق – سوريا، ص 14.

[3]– المرجع نفسه، ص 14.

فإنهم لا يرتضون مجيئا بجزعٍ إذا نظّمت أنت شذورها [1]

ب – شيوخه وتلامذته

عرف القاضي الجرجاني بكثرة حلّه وترحاله، فحيثما حلَّ كان يلتقي بعلماء ذلك المِصر فيجلس إليهم ويأخذ عنهم، فكان من نتيجة ذلك أن تتلمذ على عدد كبير من علماء عصره، لكن المصادر لا تذكر أسماء شيوخه أو عددهم، ولو وصلتنا مؤلفاته كاملة لعرفنا الكثير منهم .

يقول عنه ياقوت :"وطوّف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس العلوم والآداب، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره".[2]

ومن تلامذته :

كان من مشاهير تلاميذه الإمام عبد القاهر الجرجاني .[3]

يقول ياقوت : "وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه ".[4]

ج– ثقافته

تميّزت حياة القاضي الجرجاني (الأولى) بكثرة السفر والترحال، ممّا أكسبه ثقافة متنوعة في مختلف المعارف والعلوم .[5]

طوّف في بلاد الإسلام، فزار العراق والشام والحجاز، وأفاد من علماء عصره، فغدا إماما في العلوم والآداب .[6]

يقول ياقوت : " إنه لقي مشايخ وقته، وعلماء عصره ".[7]

---

[1] – ياقوت الحموي الرّومي : معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب "، تحقيق إحسان عباس، الجزء 4، دار الغرب الإسلامي، ص 360.

[2] – سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، ص 20.

[3] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 265.

[4] – سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، ص 20.

[5] – نفس المرجع، ص 19.

[6] – عيسى العاكوب التفكير النقدي عند العرب، ص 265.

[7] – سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، ص 20.

وكان له شأن في الفقه، والتفسير والتاريخ، والشعر والنقد، ومن خلال ذلك استطعنا أن نستنبط ما أفاده في هذه الرّحلات من ثقافة واسعة في الشريعة والأدب، وكتاب الوساطة يدل على اطلاع واسع على دواوين الشعراء السابقين، وعلم غزير باللّغة، ومعرفة بالغريب، ومقدرة على فهم معاني الشعر، وتمكن من النحو والعروض، واتصال وثيق بما كتبه النقاد من قبل .

والرّاجح أنّ ثقافة القاضي الجرجاني كانت عربية خالصة، ولم يتصل فيها بالنقد اليوناني، وربما يكون قد ألمّ ببعض نواحي الفلسفة اليونانية ممّا مكنه من معالجة بعض الشعر الفلسفي للمتنبي .[1]

د- مكانته عند الصاحب بن عباد

كانت حضرة الصاحب بن عبّاد محطّ رجال العلماء والشعراء والأدباء، فقد كان يجتمع في مجلسه ثلّة كريمة منهم، والقاضي الجرجاني أحدهم، ويبدو أنه كان آثرهم عند الصاحب وأقربهم إليه لشرف نفسه ونبله وعلمه ومكانته .[2]

واشتدّ اختصاص القاضي بالصاحب، وحلّ عنده محلا رفيع المكانة، وأجلّه إجلالا يبين عنه ما بقي من آثار الصاحب .

قال القاضي: انصرفت يوما من دار الصاحب، وذلك قبيل العيد، فجاء رسوله بعطر الفطر، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان:

يا أيها القاضيّ الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقة

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه[3]

وولاّه الصاحب قضاء جرجان، وهناك كانت الفرصة سانحة لعلي ابن عبد العزيز أن يظهر في مدينته، بتبوئه فيها ذلك المنصب الكبير.[4]

وله في الصاحب من قصيدة :

---

[1] – أحمد أحمد بدوي : القاضي الجرجاني، دار المعارف، كورنيش النيل – القاهرة، ط2، ص 26.

[2] – سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، ص 20.

[3] – أحمد أحمد بدوي: القاضي الجرجاني، ص 27.

[4] – المرجع نفسه، ص 28.

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي على نفس محزونٍ وقلب كئيب

تقسّمني الأيام قسمة جائر تقسّم في جدوى أغرّ وهوب [1]

هـ- آثاره:

1- الأنساب :(ذكره ابن خلدون في تاريخه 110/1)

2- تفسير القرآن المجيد:(ذكره ياقوت، والذهبي في السّير، وتاريخ الإسلام والصّفدي، والدّاووي)

3- تهذيب التاريخ:(ذكره ياقوت، والذهبي في السّير، وتاريخ الإسلام، والثعالبي في اليتيمة، ونقل منه فصلين، والدّاووي وقال: "قال أبو الشامي : له اختصار أبي جعفر الطّبري في مجلدة سمّاه صفوة التاريخ ".[2]

4- **الوكالة** :(ذكره له السبكيّ في كتابه " طبقات الشافعية "، وقال إنّ في هذا الكتاب أربعة آلاف مسألة، وذاك يدلنا على علم غزير، واطلاع واسع، ولهذا التبحّر في الفقه، أرخ له أبو إسحق الشيرازي في كتابه: "طبقات الفقهاء" وأرّخ له السبكي في طبقاته ؛والتاريخ له في هذا الكتاب يدلّ على أنه كان شافعيّ المذهب .وكانت دراسته للفقه، وشهرته به، هي التي رشحته لمنصب القاضي.[3]

5- **وله رسائل** : (ذكره له ياقوت فقال: له رسائل مدونة).

6- **شرح ديوان المتنبي** : (ذكره سزكين فقال: يوجد مخطوط في فيض الله رقم 1650 المجلد الأول 135 ورقة، نُسخ في سنة 1058هـ).[4]

7_ **الرؤساء والجلة** :(ذكره الثّعالبي في "لطائف المعارف "و" تحسين القبيح" ونقل عنه فيهما خبرا).

8- **ديوانه**:(ذكره الشيرازي في طبقاته، وابن خلكان، والذّهبي في السّير وتاريخ الإسلام، والسّبكي وكشف الظنون).[5]

---

[1]- ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ص 1804.

[2]- سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، ص 24.

[3]- أحمد أحمد بدوي : القاضي الجرجاني، ص 42.

[4]-سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، ص 25.

[5]-المرجع نفسه، ص 24.

9- الوساطة بين المتنبي وخصومه :

وهو الكتاب الذي وصل إلينا كاملا من بين مؤلفاته.[1]

2- كتاب الوساطة :

التعريف بالكتاب: يعد كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه من أهمّ الكتب النقدية على الإطلاق، لاحتوائه على آراء نقدية دقيقة.[2]

ويبدوا أنّ القاضي ألّف كتابه بعد وفاة المتنبي (354 هـ) بمدّة تزيد على عشر سنوات أي بعد سنة (366 هـ) التي تولى فيها القضاء مما جعل النيسابوري يخاطبه:

أيا قاضيا قد دنت كتبُه وإنّ أصبحت داره شاحطه

كتاب الوساطة في حسنِه لِعِقدِ معاليك كالواسطة [3]

وكتاب الوساطة ليس مقتصرا على شعر المتنبي فقط، وإنما اشتمل على مجموعة كبيرة من شعر كبار الشعراء، لإبراز محاسنهم [4]وعيوبهم، وما فيها من تعقيد وغموض وأخذ وسرقة .

ب- الهدف من التأليف

لقد أشار القدماء والمحدثون إلى الدافع الذي جعل القاضي يضع كتابه فقال الثعالبي: "ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره فأحسن وأبدع وأطال وأصاب شاكلة الصواب واستولى على الأمر في فصل الخطاب ".[5] ولكن من خلال العنوان يبدوا أنّ القاضي لم يقصد فقط الصاحب ولم يكن هو هو الخصم الوحيد للمتنبي وإنما كان له عدّة خصوم .

[1] – أحمد أحمد بدوي : القاضي الجرجاني، ص 44.

[2] – ينظر سميح إبراهيم صالح : ديوان القاضي الجرجاني، ص 20.

[3] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 275.

[4] – سميح إبراهيم صالح . ديوان القاضي الجرجاني، ص 19.

[5] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 274.

والقصد من تأليفه هذا الكتاب أنّ ينصف المتنبي فيلحقه بطبقته من المحدثين كبشار وأبي نواس وأبي تمام وهو على هذا النحو لا يكون من صفّ أشياع المتنبّي الذين فضّلوا شعره على أشعار معاصريه، ولا من صفّ مبغضيه الذين لم يروا له حسنة البتّة .[1]

وقد انطلق القاضي الجرجاني في وساطته من فكرة يسلّم بها العقل الصائب تماما ؛ وهي أنّ التقصير شأن بشريّ لا يسلم منه أحد، ولأنّ الأمر كذلك لا ينبغي أنّ يُبْخَسَ مُحسِن إحسانه الكثير،ولا ينكَر عظيم التبريز بضئيل التقصير، والحكم الذي ينبغي أن يذكر هنا هو المبدأ الذي يقول إنّ الحسنات يذهبن السيئات.[2]

ومن ثم يقول القاضي مدافعا : " وأعلمناك أنّه ليس بغيتنا الشّهادة لأبي الطيب بالعصمة، ولا مرادنا أن نبرّئه من مفارقة زلّة، أن غايتنا فيما قصدناه أن نلحقه بأهل طبقته، ولا نُقصِر به عن رتبته،وأن نجعله رجلا من فحول الشعراء، ونمنعك عن إحباط حسناته بسيئاته، ولا نُسوّغ لك التحامل على تقدّمه في الأكثر بتقصيره في الأقل، والغضّ من عام تبريزه، بخاص تعذيره ".[3]

وما ألحّ عليه القاضي في وساطته وبنى عليه كلّ دفاعه عن أبي الطيّب هو أن يبرأ خصم المتنبي من العصبية والهوى، وأن يلزم الإنصاف والحَيْدة .[4]

ومن هنا يقول: "وليس من شرائط النّصفة أن تنعى على أبي الطيّب بيتا شذّ، وكلمة ندرت، وقصيدة لم يسعده فيها طبعه، ولفظة قصرت عنها عنايته، وتنسى محاسنه، وقد ملأت الأسماع، وروائعه وقد بهرت . ولا من العدل أن تؤخره الهفوة المنفردة، ولا تقدمه الفضائل المجتمعة، وأن تحطه الزلة العابرة ولا تنفعه المناقب الباهرة".[5]

---

[1] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 267.

[2] – نفس المرجع ، ص 268.

[3] – علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي و خصومه؛ تح محمد أبو الفضل إبراهيم _علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية؛ بيروت ؛ ط1؛ 2006؛ ص416.

[4] – ينظر عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 268.

[5] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 101.

ج- مصادر الكتاب

لاشك أنّ القاضي الجرجاني قد تأثر حين وضع مادة كتابه بما كتبه رجال الأدب قبله، كابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء، وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، ثم كان تأثره واضحا بالآمدي في كتاب الموازنة بين الطائيين.[1]

ومن بعض الكتب أيضا التي اطلع عليها :

الكتاب	المؤلف
أخبار أبي تمام	الصولي
أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجاني
الأغاني	الأصفهاني
الأمالي	أبو علي القالي
خزانة الأدب	البغدادي
الصناعتين	أبي هلال العسكري
يتيمة الدهر	الثعالبي

كما اطّلع على كثير من الدواوين الشعرية للشعراء القدماء والمحدثين منها :

- ديوان الأخطل.
- ديوان امرئ القيس .
- ديوان البحتري.
- ديوان بشار .
- ديوان أبي تمام ديوان جرير.
- ديوان حسان بن ثابت.

[1] – ينظر حسن أبو الرب : القيمة النقدية لكتاب الجرجاني "الوساطة بين المتنبي وخصومه "، جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)،نابلس، فلسطين، ع2 ،م 21، 2007،ص 461.

- ديوان العباس بن الأحنف.
- ديوان النابغة الذبياني .
- ديوان الحماسة (شرح التبريزي).
- ديوان ابن الرومي.
- ديوان عنترة بن شداد.
- ديوان ابن المعتز، وغيرها من الدواوين .[1]

– كما استشهد بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية .

د– أقسام الكتاب :

ينقسم كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه " إلى ثلاثة أقسام :

–القسم الأول:

هو بمثابة مقدمة يوضح فيها المؤلف منهجه العام في النقد تمهيدا للدفاع عن المتنبي فيعرض لأخطاء الجاهليين حتى يلتمس لشاعره العذر فيما أخطأ فيه، ثم يتناول مشكلة تفاوت شعر الشعراء تبعا لأزمنتهم وبيئتهم وموضوع شعرهم .[2]

القسم الثاني

هو الدفاع عن المتنبي

القسم الثالث

وهذا القسم الأخير هو الذي تصدق تسميته "الوساطة" [3]، لأن المؤلف تناول فيه ما عيب على أبي الطيب في شعره وما أخذه عليه العلماء من مآخذ، يناقشه ويحلله ويفصل القول فيه، وهذا هو الجزء الذي نجد فيه النقد الموضعي الدقيق، وربما كان خير ما في الكتاب .[4]

[1] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 532.

[2] – محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ،دار النهضة –مصر للطباعة والنشر، دط، ص 276.

[3] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 276.

[4] – محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب، ص 277.

هـ – منهج الكتاب

أساس منهج الجرجاني في النقد يمكن أن نلخصه في جملة واحدة هي أنه رجل "يقيس الأشباه والنظائر" وعلى هذا الأساس بنى معظم "وساطته" بين المتنبي وخصومه [1]، وبذلك اختلف عن الآمدي الذي اتخذ الموازنة أساسا له في كتابه.[2]

فهو يبدأ كتابه بعزيز الحقيقة التي لمسها بنفسه من تعصب الناس للمتنبي أو عليه عن هوى، ويلاحظ أن خصوم الشاعر قد عابوه مثلا بالخطأ، فيحاول أن ينصف الشاعر فلا يناقش ما خطأوه فيه، بل يقيسه بأشباهه ونظائره عند الشعراء المتقدمين. وعنده أنهم لم يسلموا هم أيضا من الخطأ.[3] واتّضح الاتجاه العلمي في الوساطة وبذلك مهّد السبيل لتحوّل النقد إلى بلاغة عند صاحب الصناعتين، وكانت لغة الفقه والقضاء واضحة كل الوضوح، وليس ذلك بغريب من ناقد اتخذ القضاء له مهنة ولذلك نجد الحذر فيما يعرض وفيما يحكم بين المتنبي وخصومه .[4]

[1] – محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب، ص 256.

[2] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 276.

[3] – محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب، ص 256.

[4] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 276.

الفصل الثاني

الآراء النقدية التي عالجها القاضي الجرجاني

المبحث الأول: الآراء النقدية التي عالجها في كتاب الوساطة

المطلب الأول: الناقد

المطلب الثاني: الشعر بين القدماء والمحدثين

المطلب الثالث: تطور الشعر وأثر التكلف

المطلب الرابع: عمود الشعر

المطلب الخامس :التحامل في نقد المحدثين

المطلب السادس : السرقات الشعرية

المطلب السابع : الدفاع عن المتنبي

المطلب الثامن : التعقيد و غموض المعاني

المبحث الثاني : البلاغة في كتاب الوساطة

1- الاستعارة

2-التشبيه

3- الجناس

4- المطابقة

5- التصحيف

6- التقسيم

7- جمع الأوصاف

المبحث الأول: الآراء النقدية التي عالجها في كتاب الوساطة

المطلب الأول: الناقد

المطلب الثاني: الشعر بين القدماء والمحدثين

المطلب الثالث: تطور الشعر وأثر التكلف

المطلب الرابع: عمود الشعر

المطلب الخامس :التحامل في نقد المحدثين

المطلب السادس : السرقات الشعرية

المطلب السابع : الدفاع عن المتنبي

المطلب الثامن : التعقيد و غموض المعاني

المبحث الثاني : البلاغة في كتاب الوساطة

1- الاستعارة

2-التشبيه

3- الجناس

4- المطابقة

5- التصحيف

6- التقسيم

7- جمع الأوصاف

المبحث الأول: الآراء النقدية التي عالجها في كتاب الوساطة

المطلب الأول: الناقد

أ- العدالة في النقد

"يجبأن يتبع الناقد الحق، وألا يميل مع الهوى، ليثق الناس به فيما يقول ".[1]

"وكما ليس شرط صلة رحمك أن تَحيفَ لها على الحقِّ ،أو تميلَ في نصرها عن القَصدْ، فكذلك ليس من حُكم مراعاة الأدب أن تعدلَ لأجله عن الإنصاف، أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرَّف على حكم العدل كيف صَرَفَكَ، وتقفُ على رسمه كيف وَقفك، فتنتصف تارة وتعتدر أخرى، وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهدًا لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجّة إذا قامت محتجًا عنك إذا خالفْت ؛ فإنه لا حال أشدُّ استعطافا للقلوب المنحرفة، وأكثر استمالة للنفوس المشمئزة من توقُّفك عند الشّبهة إذا عرضتْ، واسترسالك للحجّة إذا قهرت، والحكم على نفسك إذا تحققت الدّعوة عليها، وتنبيه خصمك على مكامن حيلك إذا ذهب عنها؛ ومتى عُرِفْت بذلك صار قولك برهانا مسلّما، ورأيك دليلا قاطعا، واتّهم خصمك ما علمه وتيقنه، وشك فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده وإن عدّلتهم المحبة وجَبُن عن إظهار حُججه وإن لم تكن فيها غميزة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلاّ بعد الثقة، وهابتك الألسُنُ فلم تعرض لك إلا في الفرط والندرة".[2]

ب- الحكم النّقدي الصحيح يلحظ الإحسان قبل الإساءة

غلبت هذه الفكرة على كتاب الوساطة من مبتدئه إلى منتهاه، فلا يكاد يخلوا من الإشارة إليها مبحث من المباحث الأساسية في الكتاب، وينطلق القاضي الناقد هنا من مبدأ واضح المعالم في تصوّر الإسلام للإنسان، هو أن ابن آدم بين إحسان وإساءة، وتقدّم وتقصير، وفي الذكر الحكيم قول المولى سبحانه :"إنّ الحسنات يذهبن السّيئات " (هود:114/11)، وفي الأثر النبوي : "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التّوابون ".[3]ووفقا لهذا التفكير يذهب القاضي الجرجاني إلى أنّ الحكم النقدي الصائب ينبغي أن يلحظ أمرين : التجويد الواضح في شعر الشاعر، الهَناتُ والزلاّت التي وقع فيها، ويبنى الحكم النقدي على التنويه بأسباب الإجادة الواضحة، وإغفال أمر الهنات والزلاّت

[1] أحمد أحمد بدوي: القاضي الجرجاني، ص 94.

[2] القاضي الجرجاني : المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الوساطة بين المتنبي و خصومه ص 2.

[3] عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 269.

التي لا يسلم منها شعر شاعر، أي أنّ الحكم النقدي في جوهره يلحظ الإحسان الكثير من دون أن تنال منه الإساءة القليلة.

وقد التزم القاضي مقتضيات هذا المبدأ النقدي من كلّ ما عرض له من مسائل، ويفيد أيضا القاضي الجرجانيّ في أحكامه النقدية على الشعراء وأشعارهم من أدبيّات (علم مصطلح الحديث)، التي تؤكد تفاوت الناس وتفاضلهم وقابليتهم للصواب والخطأ، ومن هذه البيئة العلمية فيما يبدو استمدّ فكرته عن أنّ الاعتذار جانبٌ من العدل، يقول القاضي الجرجاني: "و لولا هذه الحكومة لبطل التفضيلُ، ولزال الجَرح، ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبدا، ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحدًا ؛ وأيُّ عالمٍ سمعت به ولم يزِلّ ويغلط، أو شاعرٍ انتهى إليك ذكره لم يهفُ ولم يسقط ". [1]

المطلب الثاني: الشعر بين القدماء والمحدثين

"يتفاضل الشعراء قديما وحديثا بمقدار حظوظهم من الطبع والذكاء والرواية والدربة وحاجة المحدث إلى الرواية أشدّ ليحيط بألفاظ العرب ".[2]

"إن الشعر علم من علوم العرب، يشترك فيه الطبع، والرّواية، والذكاء، ثم تكون الدّربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبّرز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ".[3]

ويذهب القاضي الجرجاني إلى أن قوى الإبداع الشعري هذه يحتاج إليها كل الشعراء في كل الأعصار، أكد ذاك أنّ المحدث، أيا كان حظه من الطبع والذكاء يصل إلى اللّغة تعلّما لا طبعا؛ وسبيل هذا التعلم رواية أشعار القدامى. [4]

يقول القاضي: "ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمخَضْرَم، والأعرابيّ والمولَّد؛ إلا أنني أرى حاجة المحْدَثِ إلى الرواية أَمَسّ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقرْ ؛ فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلّة فيها أن المطبوع الذكيّ لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية؛ ولا طريق للرواية إلا السمع؛ وملاك الرواية الحفظ، وقد كانت العرب تروي وتحفظ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض؛ كما قيل : إن زهيرًا كان رواية أَوْس وإنّ الحُطَيئَةَ راوية زهير، وإنّ

[1] عيسى العاكوب :التفكير النقدي عند العرب، ص 270.

[2] أحمد أحمد بدوي : القاضي الجرجاني، ص 95.

[3] القاضي الجرجاني : الوساطة ، ص15.

[4] عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 270.

أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جويرية ؛ فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم، وكان عبيد راوية الأعشى ولم تُسمع له كلمة تامة، كما لم يسمع لحسين راوية جرير، ومحمد بن سهل راوية الكُمَيتِ، والسائب راوية كثّير؛ غير أنها كانت بالطبع أشدّ ثقة، وإليه أكثر استئناسا ".[1]

وهكذا يقرّر القاضي أنّ المحدثين يتعلّمون الشعر تعلّما، برواية أشعار الأولين وحفظها، وإذا كان تعويل المحدثين على "الرّواية " في المقام الأول، فإن تعويل القدماء إنما كان على (الطبع)، رغم أخذهم بالرّواية والحفظ ،[2] يقول القاضي: "وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللّسان، وأنها سواء في المنطق والعبارة، وإنما تفْضُل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة، ثم تجد الرجل منها شاعراً مُفلَقاً، وابن عمه وجار جنابه ولصيق طُنُبِه بكيئا مفحماً، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر، والخطيبَ أبلَغَ من الخطيب؛ فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدّة القريحة والفطنة ؟.[3]

المطلب الثالث: تطور الشعر وأثر التكلف

تنبّه القاضي الجرجاني إلى هذه الفكرة المهمة وهو في صدد الحديث عن حاجة المحدثين إلى رواية أشعار القدماء، ليستطيعوا قول الشعر، ولا شكّ في أنّ الرّواية ينشأ عنها محاكاة للأساليب بكلّ ما تحمله هذه الأساليب من خاصيّات، والتساؤل الذي يثيره القاضي هنا هو: هل تمكّن الرواية الحدَثَ من المحاكاة الدقيقة لأساليب القدماء الفخمة الجزلة؟ يجيب القاضي بأنّ ذلك ممكن، ويدّلّل على ذلك بما قالت العلماء عن حمّاد وخلفو ابن دأب وسواهم، ممن استطاع، أن ينسب شعره إلى القدماء فيندمج شعره في شعرهم تماما .[4]

يقول القاضي الجرجاني : " فإن قلتَ : فما بالُ المتقدّمين خصّو بمتانة الكلام وجزالة المنطق وفخامة الشعر، حتى إنّ أعلمَنا باللّغة وأكثرنا رواية للغريب لو حفظ كلَّ ما ضمّت الدواوين المرويّة، والكتُب المصنّفة من شعر فحلٍ، وخبر فصيح ولفظ رائع —ونحن نعلم أن معظم هذه اللغة مضبوط مرويٌّ، وجُلّ الغريب محفوظ منقول– ثم أعانه الله بأصحِّ طبع وأثقب ذهن وأنفَذَ قريحة، ثم حاول أن يقول قصيدة، أو يقرضَ بيتاً يقارب شعر امرئ القيس وزهير، في فخامته وقوة أَسْرِه، وصلابة معْجمِه لوجده أبعد من العَيّوق متناولا، وأصعبَ من الكبريت الأحمر مطلباً ؟ قلتُ: أحلتُك على ما قالت

[1]– القاضي الجرجاني : الوساطة ، ص 16.

[2] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 271.

[3] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 16.

[4] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 271.

العلماء في حمّاد وخلَف وابن دَأْب وأضرابهم، نَحلَ القدماء شعرَه فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أضعافه، وصَعُب على أهل العناية إفراده وتعسّر". [1]

"وعند القاضي الناقد أنّ فخامة الأساليب إحدى جماليّات الشعر القديم في الجاهلية وصدر الإسلام، وهي متاحةً بيسرٍ لجمهرة شعراء ذلك العصر وأما في عصر المحدثين فقد عزَّ الظفرُ بهذه الخاصِّيَّة الجماليّة، وغدا من نصيب نَفْرٍ محدودٍ من القادرين على محاكاة أشعار القدماء بقوة الرّواية والحفظ. أما مبعث تأتّي الفخامة والجزالة للقدماء دون المحدثين فهو أنها خاصيّة فنيّة اجتماعية يحرص عليها المجتمع القديم؛ إذ كان المجتمع العربيّ في الجاهلية وصدر الإسلام ميّالاً بطبعه إلى الفخامة في الأساليب الكلامية، ومنها أساليب الشعر. فقد كان يرى فيها ضربا من الزينة ."[2]

يقول القاضي الجرجاني فإن قلتَ: فما بالُ هذا النّمط والطريقة، وهذه المَنْقَبة والفضيلة ينفرد بها الواحد في العصر وهو مشحون بالشعر، وكان فيما مضى يشمل الدّهماء ويعم الكافة ؟ قلتُ لك: كانت العرب ومَن تبعها من السلَف تجري على عادةٍ في تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألَف غيرَه، ولا أنِسَها سواه، وكان الشعرُ أحدَ أقسام منطقتها، ومن حقِّه أن يُخْتَص بفضل تهذيب، ويفْرَد بزيادة عناية، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها التعمّل والصنعة خرج كما تراه فخما جزْلا قويا متينا."[3]

وإذا كان القاضي الجرجاني قد أرجع جزالة أساليب القدامى إلى العادة والصنعة، وهما أمران عامّان، فإن ثمّة عوامل خاصّة تتدخل في فخامة الأساليب ورقتها، ويذكر القاضي الجرجاني من ذلك: الطبيعة، الشخصية، والبيئة من بادية وحاضرة، والحالة النفسية للشخص... ويرجع رقة أساليب المحدثين إلى التحضّر الذي أصاب حياة الناس، فرقَّت الأذواق ومالت إلى اللّين والدّماثة، وغدا ذلك ظاهرة عامّة شملت الشعر المحدث كلّه .[4]

[1] – القاضي الجرجاني : الوساطة ص 16 / العيّوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرى الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها

[2] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 272.

[3] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 17.

[4] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 273.

وعن هذا يقول: "لما ضرب الإسلام بجرانه، واتّسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدّب والتظرّف، اختار الناس من الكلام ألينَهُ وأسهله، وعمدوا إلى كلّ شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً".[1]

وغير خاف أنّ القاضي الجرجاني يربط هنا بين الفنّ والمجتمع الذي يعيش فيه الفنان ويقدم تنظيراً على قدرٍ كبير من الأهمية في موضوع الجمال الفني وتأثره بالحياة الاجتماعية والبيئة والطبيعة الشخصية. فإذا كانت فخامة الأساليب الشعرية مطلبا للذّائقة الجمالية في الجاهلية وما تبعها، فإنّ رقّة الأساليب ودماثتها غدت مطلب الذائقة الجمالية عند سكان المدن والحواضر في العصر العبّاسي.[2]

المطلب الرابع: عمود الشعر

يراد بعمود الشعر الأسس الجمالية التي ينهض عليها بناؤه عند العرب القدامى، و يظهر أن التسمية مستوحاة من عمود الشعر الذي لا يقوم من دونه، و غير غريب طبعا أن يستعين النّقاد العرب مصطلحات نقدهم من معطيات الحياة البدوية العربية.[3]

"حيث كانت للعرب في نظم الشعر طريقة خاصة لا يتعدونها ولا يخرجون عليها في غالب الأمر وقد عرفت هذه الطريقة فيما بعد باسم عمود الشعر ".[4]

وكان القاضي كالآمدي في فهم الشعر لا يخرج على عموده كثيرا، وإذا كان الآمدي قد حام حول هذا العمود وحدده بالصفات السلبية حينما نقد شعر أبي تمام وتكلم على ما فيه من التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشيّ الكلام واستكراه المعاني والإبعاد في الاستعارة ؛ فإن القاضي حدده ووضعه في صورة إيجابية نقله عنه من جاء بعده كالمرزوقي في مقدمة شرحه للحماسة، حدد القاضي هذا العمود حينما وازن بين أبيات لأبي تمام وأخرى لبعض الأعراب؛ فقد تغزل أبو تمام فقال :

[1] أحمد أحمد بدوي : القاضي الجرجاني، ص 96.

[2] عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 273.

[3] المرجع نفسه: ص276.

[4] عبده عبد العزيز قلقيله : القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 349.

دعنـي وشرب الهوى يا شارب الكاس فإننـي لّلذي حسيته حاسِـي
لا يوحِشَنّك ما استعجمتَ من سقَمي فإنّ منزلَه من أحسن النـاسِ
من قَطْعِ ألفاظه توصيلُ مهـلكتي ووصل ألحاظه تقطيعُ أنفاسِي
متى أعيـش بتأميـل الرجـاء إذا ما كان قطع رجائي في يديْ ياسِي[1]

قال القاضي : فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة ؛ طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غزَله، وحقَّ لها ؛ فقد جمعت على قِصَرِها فنونا من الحُسن، وأصنافا من البديع، ثم إنّ فيها من الأحكام والمتانة والقوة ما تراه ؛ ولكنّني ما أظنك تجد له من سَوْرَة الطرب، وارتياح النفس ما تجده لقول بعض الأعراب :

أقول لصاحبي والعيْس تَهوي بنا بين المُنيفَةِ فالضِّمارِ
تمتّع مِن شميم عَرارِ نَجدٍ فما بعْدَ العَشِيةِ من عَرارِ
ألا يا حبّذا نفَحاتُ نَجْدٍ ورياَّ روْضهِ غِبَّ القطارِ
وعيشك إذ يحُلُّ القوم نَجدا وأنتَ على زمانِك غيرُ زارِ
شُهورٌ يَنقضينَ وما شعرنـا بأنصـافٍ لهنَّ ولا سِرارِ
فأمـا ليلُهنَّ فخيرُ ليـلٍ وأقصرُ ما يكون من النهار

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المآخذ قريب التناول ."[2]

وقد ذكر ستة أسس لعمود الشعر عند العرب لا ينهض بناؤه من دونها،[3] فقال: " وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللّفظ واستقامته، وتُسلّم السّبْق فيه لمن وصف فأصاب ،وشبّه فقارب، فبده فأغرز، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفِل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض."[4]

[1] أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي،ص287.
[2] القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 33.
[3] عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 276.
[4] القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 33

إن أسس عمود الشعر هذه تمثل تصوّرا عربيا للشعر بوصفه فنّا يقدّم لنا الحقيقة {الأساس الأول} والجمال {الأساس الثاني}،وللشاعر بوصفه مبدِعا قادرا على تقديم الحقيقة في قالبٍ من الجمال {الأسس 4 ،5، 6}.[1]

المطلب الخامس :التحامل في نقد المحدثين

جاءت هذه الفكرة في سياق حديث القاضي الجرجاني عن وجوب الإنصاف في النقد والتماس الحقّ في الأحكام النقدية، ويذهب القاضي الجرجاني هنا إلى أنّ حفاظ اللّغة والرّواة الكبار هم الفريق الأكثر تحاملا على المحدثين، وهو ينسب هؤلاء إلى العصبيّة ويرميهم بالكذب .[2]

يقول القاضي: "وما أكثر مَنْ ترى وتسمع من حفّاظ اللّغة ومن جلّة الرواة، مَنْ يلهج بعيب المتأخرين؛ فإن أحدهم يُنشِد البيت فيستحسنه ويستجيده، ويَعجَبَ منه ويختاره؛ فإذا نُسِبَ إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذَّب نفسه، ونقض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهون مَحملاً وأقل مرزأة من تسليم فضيلة لِمُحْدَث، والإقرار بالإحسان لمولّد".[3]

ويبين القاضي أنّ الشاعر المحدث وجد نفسه في مأزق كبير، تتمثل أبعاده في أنّ الرصيد اللّفظي القديم لم يعد متوافراً له على غرار ما كان متوافرا للشعراء القدامى، كما أنّ الشعراء القدامى قد أتو على جيّد المعاني وعفوها، وتصوّر أزمة الشاعر المحدث هذه يجعل قليله أحقّ بالاستكثار وصغيره أولى بالإكبار .[4]

يقول القاضي الجرجاني: "ولو أنُصِف أصحابنا هؤلاء لوُجِدَ يسيرهم أحقّ بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار؛ لأن أحدهم يقف محصورا بين لفظ قد ضُيِق مجاله، وحُذِفَ أكثره، وقل عدده، وحُظِرَ مُعظَمُه. ومعان قد أُخِذ عفوها، وسُبِقَ إلى جيدها، فأفكاره تنبتُ في كل وجه، وخواطره تستفتح كل باب؛ فإن وافق بعض ما قيل، أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل: سرق بيت فلان، وأغار على قول فلان. ولعل ذلك البيت لم يقْرع قطّ سمعه، ولا مرّ بخلده؛ كأن التوارد عندهم ممتنع، واتفاقا له

[1] عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 277.

[2] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 278.

[3] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 50.

[4] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 279.

واجس غير ممكن، وإن افترع معنى بكْرا، أو افتتح طريقا مُبهما لم يرض منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب، وألذّه من السمع؛ فإذا دعاه حبُّ الإغراب وشهوة التنوّق إلى تزيين شعره وتحسين كلامه؛ فوشَّحه بشيء من البديع، وحلّاه ببعض الاستعارة قيل: هذا ظاهر التكلف، بيِّن التعسف، ناشف الماء، قليل الرونق . وإن قال ما سَمَحت به النفس ورضى به الهاجس قيل: لفظ فارغ وكلام غسيل ؛ فإحسانه يُتأوَّل، وعيوبه تُتَمَحّل، وزلته تتضاعف، وعذره يُكَذَّبُ".[1]

وجليّ في هذا النّص أنّ الشاعر المحدَث وجد نفسه في موقف لايحسد عليه، فقد ضُيِّق عليه مجال القول أيّا كانت الوِجهة التي هو مولّيها: التقليد أو الابتكار؛ الإتيان بالبديع أو الاستسلام للطبع، ذاك أنّ نقاد الشعر وقفوا للشاعر المحدث بالمرصاد، ورموا كلّ ما أتى به بضرب من ضروب العيب.[2]

السرقات الشعرية

التفت القاضي إلى هذه الفكرة و هو في صدد الحديث عن العيوب التي رمى خصوم المتنبي شعره بها، و يبدوا أن السّرق من السهام المصمية التي سدِدَتْ إلى المتنبي.[3]

""والسرق أيدك الله داء قديم، وعيب عتيق، ومزال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه وكان أكثره ظاهراً كالتوارد الذي صدّرنا بذكره الكلام، وإذ تجاوز ذلك قليلا في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ، ثم تسبّب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغيير المنهاج والترتيب، وتكلفوا جَبْر ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في حال، والتصريح في أخرى، والاحتجاج والتعليل، فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور مالا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله"".[4]

"وليس كلّ من تعرض له أدركه، ولا كلّ من أدركه استوفاه واستكمله، ولست تعد من جهابذة الكلام، ونقاد الشعر، حتى تميّز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً بِرُتَبِهِ ومنازله، فتفصل بين السّرَق

[1] – القاضي الجرجانيّ : الوساطة، ص 52.

[2] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 279.

[3] - المرجع نفسه، ص281.

[4] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 214.

والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الالمام من الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادّعاء السّرق فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به أو بين المختصّ الذي حازه المبتدئ فملكه وأحياه السابق فاقتطعه، فصار المعتدي مختلسًا سارقًا، والمشارك له محتذياً تابعاً، وتعرف اللّفظ الذي يجوز أن يقال فيه : أخذ ونقل، والكلمة التي يصحّ أن يقال فيها: هي لفلان دون فلان "".[1]

وأكمل هذه الألوان من السرقات بأخرى هي القلب ويعتبره من لطيف السرق كقول المتنبي :

أأحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه

إنما نقض قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة حبًا لذكرك فَلْيَلُمْني اللُّوَمُ

2- النقل، وهو نقل المعنى من غرض إلى آخر، قال << وحتى لا يغرك في البيتين المتشابهين أن يكون أحدهم نسيبًا والآخر مديحًا وأن يكون هذا هجاءً وذاك افتخارًا>>،فإن الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به نوعه وصنفه عن وزنه ونظمه وعن رويه وقافيته فإذا مر بالغبي الغفل وجدهما أجنبين متباعدين وإذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما والصلة التي تجمعهما، قال كثير:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثَّل لي ليلى بكل سبيل

فلا سرقة هنا لأنَّ المعنيين مختلفان[2].

3- لا تكون السرقة إلا في المعاني، إذ الألفاظ مُباحة غير محظورة واللّفظ يؤخذ ولا يُعَدُّ أخذه سرقة.[3]

4- إن كان المعنى مخترعا مبتدعا، ولكنه صار مستفيضا متداولا، لا يعد مسروقا كذلك، لأنه استفاض على ألسن الشعراء، كتشبيه الفتاة بالغزال من جيدها وعينيها.[4] والمهاة في حسنها وصفائها، وأسماء المواضع والألفاظ المشهورة وما يأتي عفوا من قبيل توارد الخواطر وإذا كانت المعاني المشتركة والمعاني المتداولة لا تقع السرقة فيهما فإن الشعراء يتفاضلون في غرضها، كما قال لبيد:

وجلا السيول عن الطول زبُرُ تُجِدّ مُتونَهَا أَقْلامها

[1] - القاضي الجرجاني الوساطة: ص 183.

[2] - أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي ، ص308.

[3] - طه إبراهيم : تاريخ النقد الادبي عند العرب، ص 161.

[4] - أحمد أحمد بدوي : نوابغ الفكر العربي، القاضي الجرجاني، ص 60.

فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء.وهذه هي السرقة الممدوحة عندهُ ومتى جاءت السرقة هذا المجيئ لم تعد من المعايب ولم تحص في جملة المثالب وكان بالتفضيل أحق وبالمدح والتزكية أولى، ومواطنها كما تحدث عنها في كتابه:

1- الزيادة : مثال ذلك أن العباس بن الاحنف قال :

بكت غير آنسة بالبكا ترى الدمع في مقلتيها غريبًا

وقال المتنبي :

أتتهن المصائب غافلاتٍ فدمعُ الحزن في دمع الدلال

" فزاد وأحسن وملح بذكر الدلال" [1].

2- والاختصار: كبيت أبي دهبل الجمحي :

كيف أنساك لا أيديك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قِدم

و هو من قول النابغة :

أبي غفلتي أني إذا ما ذكرته تقطَّع حزنٌ في حشا الجوف داخلُ

و أنَّ تلادي إنْ نظرت وشكّتي ومُهري وما ضمنت إليّ الأناملُ

حباؤك والعيسُ العتاقُ كأنَّها هجانُ المها تُردى عليها الرحائلُ

"فإذا أنصفت أبا دهبل عرفت فضله وشهدت له بالإحسان ،لأنه جمع هذا الكلام الطويل في "لا أيديك واحدة عندي" ثم أضاف إليه: "ولا بالذي أوليت من قدم" فتم المعنى وأكده أحسن تأكيد، لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدها وتقادم عهدها فنفى وجوه النسيان كلها، وقد اختصر النابغة أبياته هذه في بيت من كلمة أخرى فقال :

وما أغفلتُ شكرك فانتصحني فكيف ومن عطائك جُلُّ مالي

فأحسن وزاد على أبي دهبل بأن جعل جل ماله من عطائه واقتصر أبو دهبل على تتابع الأيادي وقد تصغر وقد تكبر لكنه انفرد بالمصراع الثاني فحصل له زيادة لا تقصر عن معنى منفرد ".

3- القلب، 4- النقل، وهما ما أشرنا إليهما سابقا.[2]

أما السرقة المذمومة فهي نوعان:

[1]- أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 308 .

[2]- المرجع نفسه، ص 309.

1- سرقة ظاهرة تكون في اللفظ والمعنى، وهي أسوأ الأنواع[1]،قال: "ومتى أحكمت هذا الباب حق الإحكام، وأوليّته حسن التمييز فقد ألقيت عن نفسك ثقلا، وكفيتها مؤونة، ولم يبق عليك إلا أن تحترس من تفريط كما احترست من الإفراط، فلا تكن كمن يرى السّرق لا يتم إلا باجتماع اللفظ والمعنى، ونقل البيت جملة، والمصراع تامًا، بل لا يعرف السارق الا من يفعل فعل عبد الله ابن الزّبير بأبيات معن بنُ أوس"، حكى أبُو عبيدة وغيره أن عبد الله بنُ الزّبير دخل على معاوية فأنشدهُ لنفسه:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حدّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَلُ

فقال له معاوية ؛ لقد شعرت بعدي يا أبا بكر ولم يفارق عبدالله المجلس حتى دخل معنُ بنُ أوس فأنشدهُ كلمتهُ التي أولها:

لعمرك ما أدرى إني لأوجل على أينا تعْدوُ المنية أول

حتى أتى عليها، وهذه الأبيات فيها فأقبل معاوية على عبدالله بنُ زبير فقال: ألم تخبرني أنها لك ؟ فقال: المعنى لي واللّفظ له؛ وبعد فهو أخي من الرضاع وأنا أحق الناس بشعره.[2]

2- وسرقة خفية تحتاج الى فطنة[3]، قال: "وأول ما يلزمك في هذا الباب ألاّ تُقَصِر السَّرقة على ما ظهر ودعا إلى نفسه دون ما كَمَن، ونضَحَ عن صاحبه وألا يكون همك في تتبع الأبيات المتشابهة، والمعاني المتناسخة طَلَب الألفاظ والظواهر دون الأغراض والمقاصد ولَنْ تُكْمِلَ ذلك حتى تعرف تناسب قول لبيد:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولاَ بُدَّ يومًا أن تردَّ الودائعُ

وقول الأفوه الأودي:

إنما نعمة قَومٍ متعةٌ وحياة المرء ثوبٌ مستعار

وإن كان هذا ذكر الحياة، وذلك ذكر المال والولد، وكان أحدهم جُعِلَ وديعة، والآخر عارية."[4]

[1] – أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي، ص 310

[2] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 192.

[3] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 310.

[4] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 201.

وأشار إلى الأخذ من القرآن الكريم والحديث الشريف والأقوال المأثورة، وهو ما يسمى بالاقتباس، وعقد باباً طويلا عن سرقات المتنبي جمع فيه ما ادعي على الشاعر فيه السرقة وما أضيف إليه مما عثر به، وهذا الباب أطول ما كتب عن سرقات المتنبي، لأنه جمع ما قيل فيها وما أضافه إليها.[1]

هذه أسسه في بحث السرقات وتتجلى فيها قدرته على تنويعهاومتابعتها وتعليقه عليها وتتضح موهبته في الحديث عن سرقات المتنبي وتوجيهها ويكاد معظم كتابه يتصل بهذه القضية التي شغلت البلاغيين والنقاد وهم يتحدثون عن الإبداع والإتباع، وقد استطاع في هذه الدراسة أن يضع النظرية ذات الأسس الواضحة، وأن ينجح في التطبيق إلى حد كبير، وكان خروجه أحياناً على هذه الأسس وتتبعه السرقات الموهومة سببًا في أن يقول الدكتور محمود السمرة: "والعيب الأساسي ليس في النظرية فهي ذات أسس سليمة إلى حد كبير ولكن في التطبيق فالجرجاني في تطبيقه نسي ما دعا إليه من الحذر في إصدار الأحكام وادعاء السرقة وأخذ يتتبع سرقات موهومة." [2]

الدفاع عن المتنبي: عرض القاضي الجرجاني آراءه السابقة لينطلق منها إلى الدفاع عن المتنبي والحكم عليه، وهو في أول كلمة يذكرها في كتاب الوساطة يتحدث عن التفاضل الذي يدعو إلى التنافس والتنافس الذي يكون سبب التحاسد،[3] ووجد أهل الأدب في المتنبي فئتين :
من مطنب في تقريظه، وأخرى تجتهد في إظهار عيوبه وإخفاء محاسنه مع أن لكل عالم هفوة ولكل شاعر سقطة، وهنا يورد عددًا من أغاليط الشعراء.[4]

ويحدد الخصوم للمتنبي ويقسمهم قسمين: أولئك الذين لا يرون فضلا إلا للمتقدمين جاهليين وأمويين، وهؤلاء إذ يرفضون الشعر الحديث، كان من الطبيعي أن يجرحوا المتنبي ويهجنوا شعره لأنه لاحق بالمحدثين، ثم أولئك الذين يسلمون بفضل أبي تمام وحزبه، ومع ذلك يهاجمون المتنبي، وهؤلاء قوم أفسد الهوى أحكامهم وأتلف الحسد نظراتهم.[5]

[1]– أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 311.
[2] – المرجع نفسه، ص 311.
[3]– المرجع نفسه، ص 315.
[4]– ينظر : أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 315.
[5]– محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب، ص277.

قال القاضي: "وإنما خصمك الألدّ ومخالفك المعاند، الذي صمدت لمحاكمته، وابتدأت بمنازعته ومُحاجَّته، من استحسن رأيك في انْصَاف شاعر، ثم ألزمك الحيفَ على غيره، وساعدك على تقديم رجل، ثم كلّفك تأخير مثله، فهو يسابقك إلى مدح أبي تمام والبحتري، ويسوّغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومي، حتى إذا ذكرت أبا الطيب ببعض فضائله، وأسميته في عداد من يقصر عن رتبته امتعض امتعاض الموتور، ونفر نفار المضيم، فغض طرفه وثنى عِطفه وصعَّر خدّه، وأخذته العزة بالإثم، وكأنما زوّى بين عينيه عليك المحاجم".[1]

مع أننا لا نستطيع أن نحكم على المتنبي إلا بأحد أمرين :

"إما أن تدعي له الصنعة المحضة فتلحقه بأبي تمام وتجعله من حزبه أو أن تدعي له فيه شركًا وفي الطبع حظًا، فإن ملت به نحو الصنعة فضل ميل صيرته في جنبة مسلم وإن وفرت قسطه من الطبع عدلت به قليلا نحو البحتري وأنا أرى لك إن كنت متوخيًا للعدل مؤثرًا للإنصاف أن تقسم شعره فتجعله في الصدر الأول تابعًا لأبي تمام وفيما بعده واسطة بينه وبين مسلم".[2]

وشرع بعد ذلك في توضيح المقايسة والمقاصة وذكر ما في شعر أبي نواس من تفاوت ولحن وفساد العقيدة وخطأ الوزن، ثم ما في شعر أبي تمام من تفاوت أيضا. وعاد إلى شعر المتنبي.[3]

قال: "ثم أعود إلى نسق الكتاب وأكتفي بما قدّمته من هفوات أبي تمام وإن كان ما أغفلته أضعاف ما أثبته إذ البغية فيه الاعتذار لأبي الطيب، لا النعي على أبي تمام وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيّدي المطبوعين وإمَامَيْ أهل الصنعة، وأريك أن فضلهما لم يحمهما من زلل، وإحسانهما لم يصفُ من كدَر فإن أنصفتَ فلك فيها عبرة ومقنع، وإن لججت فما تُغني الآياتُ والنذر عن قوم لا يؤمنون .

وقد رأيتك، وفقك الله لما احتفلت وتعمّلت، وجمعت أعوانك واحتشدت، وتصفّحت هذا الديوان حرفًا حرفًا، واستعرضته بيتًا بيتًا، وقلبته ظهرًا وبطناً ،لم تزد على أحرف تلقّطتها وألفاظ

[1] القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 53

[2] أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الادبي، ص 316

[3] نفس المرجع، ص 318

تحملتها، ادّعيت في بعضها الغلط واللّحن وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضًا بالتعسف والغثاثة وبعضا بالضعف والركاكة، وبعضًا بالتعدي في الاستعارة، ثم تعديت بهذه السَمة إلى جملة شعره، فأسقطت القصيدة من أجل البيت ونفيت الديوان لأجل القصيدة وعجّلت بالحكم قبل استيفاء الحجة وأبرمت القضاء قبل امتحان الشهادة ".[1]

وعرض ما في شعره من عيوب من غير أن يعلق عليها ثم ذكر الرائع من أشعاره ووازن بينه وبين شعر غيره موازنة سريعة ليس فيها تحليل وتفصيل كقوله في قصيدة المتنبي التي تحدث فيها عنالحمى:[2] "وهذه القصيدة كلها مختارة، لا يعلم لأحد في معناها مثلها. والأبيات التي وصف فيها الحمى أفراد، وقد اخترع أكثر معانيها، وسهل ألفاظها؛ فجاءت مطبوعة مصنوعة، وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤْيِس. وقد أحسن عبد الصمد بن المعذّل في قصيدته الرائية التي وصف فيها الحمّى، وقصر في الضادية وفي مقاطيع له في وصفها، وكأن أبا الطيب قصد تنكب معانيه فلم يُلمّ بشيء منها ".[3]

ثم قال بعد أن ذكر أبيات عبد الصمد: "فأحسن وأجاد، وملح واتسع، وأنت إذا قست أبيات أبي الطّيب بها على قصرها، وقابلت اللّفظ باللّفظ، والمعنى بالمعنى، وكنت من أهل البصر، وكان لك حظّ في النقد تبينت الفاضل من المفضول، فأما أنا فأكره أن أبتّ حكما أو أفضل قضاء أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما محسن مصيب".[4]

وتحدث بعد ذلك عن حسن التخلص وحسن الخروج وذكر له التخلص المستكره وما عيب من ابتداءاته .[5]

[1] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 82.

[2] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الادبي، ص 318.

[3] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 121.

[4] – المصدر نفسه، ص 122.

[5] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الادبي، ص 318.

التعقيد وغموض المعاني:

جاء نقاش القاضي الجرجاني لهذه الفكرة في إطار حديثه عن نقائص شعر المتنبي وقد عدّ القاضي الناقد هذا المظهر أحد عيبين نالا كثيرًا من تفوّق شعر المتنبي: التعقيد، وبعد الاستعارة، [1] وفي هذا يقول القاضي مخاطب خصم المتنبي: "وقد تفقدت ما أنكره أصحابك من هذا الديوان[ديوان المتنبي].. فوجدته أصنافا منها ألفاظ نسبت إلى اللحن في الإعراب، وادُّعي فيها الخروج عن اللّغة، ومعانٍ وُصفت بالفساد والإحالة وبالاختلال والتناقض واستهلاك المعنى، وأخرى أنكر منها التقصير عن الغرض، والوقوع دون القصد، وأعْيَبَ ما فيها ما عيّبه من باب التعقيد والعويص واستهلاك المعنى وغموض المراد؛ ومن جهة بعد الاستعارة والإفراط في الصنعة".[2]

وبعد أن يقرّ القاضي بحظِّ المتنبي من هذه النقيصة يمضي إلى الاعتذار له من وجهة أنّ التعقيد لابس كثيرًا من أشعار الشعراء، ولم يكن سببًا في إسقاط هذه الأشعار.[3]

يقول القاضي : " ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعرًا لوجب أن لا يُرى لأبي تمام بيت واحد، فإنا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيتٍ أو بيتين قد وفر من التعقيد حظُّهما، وأفسد به لفظهما، ولذلك كَثُرَ الاخْتِلاَفُ في معانيه، وصَار استخراجهما بابًا منفردًا، يَنْتَسِبُ إليه طائفة من أهل الأدب، وصارت تتطارح في المجالس مطارحة أبيات المعاني، وألغاز المعَمّى "[4].

هذه صورة لدفاع القاضي عن المتنبي ويتضح منها أنه لم يتعصب للشاعر وإنّما نظر بعين الإنصاف والعدل فاستحسن ما كان حسنًا من شعره، واستهجن ما لم تكن فيه طلاوة وروعة، وإذا كان قد وضع بعض الأسس التي قاس بها الشاعر فليس معنى ذلك إنه يتعصب له، أو يندفع للذوذ عنه من غير علم ورويّة، لأن المتنبي لم ينفرد عن غيره كل الانفراد ،فما يصيب غيره يصل إليه، وما يطبق على غيره يسري عليه.[5]

[1] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 288.

[2] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 415.

[3] – عيسى العاكوب : التفكير النقدي عند العرب، ص 288.

[4] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 417.

[5] – أحمد مطلوب :اتجاهات النقد الأدبي، ص 330.

المبحث الثاني : البلاغة في كتاب الوساطة

كان القاضي الجرجاني حريصا على روح البلاغة حينما تحدث عن شعر المتنبي، ولكنّه لا يؤرخ لكل فن من فنونها وإنما تحدث عن البديع عامة في أول كتابه.[1]

يقول القاضي: " وقد كان يقع ذلك من خلال قصائدها، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصْد ؛ فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأو مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحُسن، وتميّزها عن أخواتها في الرشاقة واللّطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسمّوه البديع ؛ فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومُفرط".[2]والبديع عنده ليس غاية وإنما وسيلة إلى فهم الشعر ونقده ولذلك لم يتحدث عن فنونه طويلا كما فعل البلاغيون.[3]

ويتضح من تعليقه على الشعر وكلامه على الصنعة والتكلف والطبع أنه لا يميل إلى البديع، ولذلك يفضل الشعر المطبوع على المصنوع كما في تعليقه على أبيات أبي تمام :

دعني وشُرب الهوى يا شارب الكاسِ فإنّني للّذي حسَيته حاسي

وأبيات بعض الأعراب :

أقول لصاحبي والعيسْ تهوي بنا بين المُنيفَة فالضمارِ

فأبيات أبي تمام مع ما فيها من جودة غير أن البديع و التصنع سمتها، في حين أنّ الأبيات الأخرى بعيدة عن الصنعة، ومن هنا وجد لها من سورة الطرب و ارتياح النفس ما لم يجده في أبيات أبي تمام التي أعجب بها إعجابا عقليا .

ومن الفنون البلاغية التي ذكرها في كتابه واستعان بها في نقده:[4]

1- الاستعارة :

لغة: رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده. وعلى هذا يصح أن يقال استعار إنسان من آخر شيئا، بمعنى أنّ الشيء المستعار قد انتقل

[1] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 295.

[2] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 34.

[3] – أحمد مطلوب اتجاهات النقد الادبي، ص 296.

[4] – المرجع نفسه ،ص 296.

من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به ومن ذلك يفهم ضمنا أنّ عملية الاستعارة لا تتم إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما .[1]

"فالقاضي الجرجاني يقدر الاستعارة ويرى منها المستحسن والمستقبح، ويرى أن تقديرها يرجع إلى الذوق، وربما استطاع الناقد أن يكشف عن سبب استحسانه أو استقباحه ".[2]ويعرفها في قوله: "فأما الاستعارة أحد أعمدة الكلام وعليها المعول في التوسع والتصرف، بها يُتوصّل إلى تزيين اللّفظ؛ وتحسين النظم والنثر".[3]

وعرفها بقوله: "وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللّفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر".[4]

وهذا هو الفرق بينها وبين التشبيه الذي يقوم على ربط شيء بشيء كبيت أبي نواس:

والحبُّ ظهرٌ أنت راكبه فإذا صرفتَ عِنانه انصرف [5]

ولست أرى هذا وما اشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر، أو الحب كظهرٍ تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه ؛ فهو إما ضرب مثل أو تشبيه شيء بشيء .[6]

ومن الاستعارة الحسن : كقور زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلُه وعُرّي أفراش الصِّبا ورواحله

وقول لبيد:

وغداة ريحقد وزعت وقَرَةٍ إذ أصبحت بيد الشمال زمامُها

وقول إبن الطثرية:

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الاباطحُ[7]

---

[1] – عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية "علم المعاني، البديع، البيان " ص 361.

[2] – أحمد أحمد بدوي: القاضي الجرجاني، ص 101.

[3] – عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، ص 367.

[4] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 48.

[5] – أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي، ص 296.

[6] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 41.

[7] – أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي ،ص 297.

ومنها السيء : كقول ابي تمام :

باشرت أسباب الغنى بمدائح ضربت بأبواب الملوكِ طُبولا

وقول أبي نواس :

ياعمرو أضحتْ مبيضةً كَبدي فاصبغ بياضا بعصفُر العنب

فاسدد مسامعك واستغش ثيابك، وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات نحوه، فإنه مما يصدئ القلب ويعميه ويطمس البصيرة، ويكدّ القريحة .[1]

وتحدث عن الإفراط في الاستعارة التي استرسل فيها أبو تمام ومال إلى الرخصة فأخرجه إلى التعدي وتبعه أكثر المحدثين فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة والتقصير والإصابة، وعلق على بعض الاستعارات التي فيها إفراط .[2]

يقول القاضي:

" وهذه أمور متى حملت على التحقيق وطلب فيها محض التقويم أُخرِجت عن طريقة الشعر، ومتى اتّبع فيها الرخصْ وأُجرِيَتِ على المسامحة أدت إلى فساد اللغة ، واختلاط الكلام وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قرب وعُرِفَ والاقتصار على ماظهر ووضح".[3]

وكلام القاضي على الاستعارة فيه تفصيل وإيضاح، ومما دفعه إلى ذلك أنها فن أصيل في شعر المتنبي إلى جانب أنها أحد أعمدة الكلام وعليها المعول في التوسع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللَّفظ وتحسين النظم والنثر.[4]

2- التشبيه:

تحدث عنه حينما تكلم على بعض تشبيهات المتنبي وغيره وأشار إلى أدواته وإلى مذاهب العرب في استعماله كضرب المثل أو تشبيه شيء بشيء أو جعل أحد الشيئين هو الآخر وذَكر صوره.[5]

[1] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 41/40.

[2] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 298.

[3] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 433.

[4] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 298.

[5] – المرجع نفسه، ص 298.

فقال: "إن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة؛ فإذا قال الشاعر وهو يريد إطالة وقوفه: إنّي أقف وقوف شَحيحٍ ضاع خاتمه؛ لم يُرِد التسوية بين الوقوفين في القَدْرِ والزمان والصورة، وإنما يريد لأقفَنَّ وقوفا زائدا عن القدر المعتاد خارجا عن حدِّ الاعتدال، كما أنَّ وقوف الشحيح يزيدُ على ما يُعْرَف في أمثاله، وعلى ماجرت له العادة في أضرابه، وإنما هو كقول الشاعر:

ربُّ ليلٍ أمدُّ مِنْ نَفَسِ العا شقِ طولاً قطَعْتهُ بانتخابِ

ونحن نعلم أنّ العاشق بالغاً ما بَلَغَ لا يمتَدُّ امتداد أَقصر أجزاءَ اللّيلِ، وأنّ الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقض إلا عن انفاسٍ لا تحصى؛ كائنة ما كانت في امتدادها وطولها، وإنما مرادُ الشاعر أنّ اللّيل زائدٌ في الطول على مقادير اللّيالي كزيادة نفَسِ العاشق على الأنفاس ؛ فهذا وَجهٌ لا أرى به بأسا في تصحيح المعنى، وإن كنت لا أرى أن يُؤخَذَ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية ما لم يأخذ نفسَه بها، ويتكلّف التعملَ لها، فيؤخذ حينئذ بحكمه، ويطالب بما جنى على نفسه".[1]

وتحدث عن أغراض الشعراء في التشبيه وعن المشبه به يكون شيئا واحدا ويختلف وجه الشبه باختلاف الغرض، قال: "وللشعراء في التشبيه أغراض فإذا شبهوا بالشمس في موضع الوصف بالحسن أرادوا به البهاء والرونق والضياء ونصوع اللّون والتمام وإذا ذكروه في الوصف بالنباهة والشهرة أرادوا به عموم مطلعها وانتشار شعاعها واشتراك الخاص والعام في معرفتها وتعظيمها، وإذا قرنوه بالجلال والرفعة أرادوا به أنوارها وارتفاع محلها، وإذا ذكروه في باب النفع والارفاق قصدوا تأثيرها في النشوء والنماء والتحليل والتصفية، ولكل واحد من هذه الوجوه باب مفرد وطريق متميّز، فقد يكون المشبه بالشمس في العلو والنباهة والنفع، وقد يكون منير الفعال كمد اللّون واضح الأخلاق كاسف المنظر ".[2]

3- **الجناس:** من فنون البديع اللّفظية، ويقال له التجانس والمجانسة والجناس، أسماء مختلفة والمسمى واحد، وسبب هذه التسمية راجع إلى أنّ حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد .[3]

[1] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 471.

[2] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي ،ص 299.

[3] – ينظر : عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية، ص 614.

ومن أوائل من فطنوا إليه عبد اللّه بن المعتز، فقد عدّه في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده وعرفه ومثل للحسن والمعيب منه بأمثلة شتى وهو يعرفه بقوله: "التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها ".[1]

ولقد ذكر القاضي الجرجاني في مقدمة كتابه بعض ألوانه :

أ – **المطلق** :

وهو جناس الاشتقاق عند البلاغيين .[2]

كقول النابغة :

وأقطع الخَرْق بالخرقاء قد جعلت الكَلالِ تشكّى الأيْن والسَّأما

و قول أبي تمام :

تطلُّ الطلولُ الدمعَ في كل موقف وتَمْثُل بالصبر الديارُ المواثِلُ

فجانس في المصراعين.

وقول البحتري:

صدقَ الغُرابُ لقد رأيت حمولهم بالأمس تغرب عن جوانب غرّب

فجانس بثلاثة ألفاظ .[3]

ب– **الجناس المستوفي**:

هو ما كان ركناه، أي لفظاه، من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة، بأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا، وبأن يكون أحدهما حرفا والآخر اسماً أو فعلا .[4]

كقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحي بن عبد الله

فجانس بيحيا ويحي، وحروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر؛ فأحدهما فعل والآخر اسم؛ ولو اتفق المعنيان لم يعدّ تجنيسا؛ وإنما لفظة مكررة، كقول امرئ القيس:

فلما دنوت تسدّيتها فثوبا نسيت وثوبا أجُرّ

---

[1] – عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية، ص 613.

[2] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 299.

[3] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 42.

[4] – عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية، ص 618.

فقد تكرر في البيت ذكر الثوب، كما تكرر ذكر يحي في بيت أبي تمام، إلاّ أنّ هذين اتّفق معناهما، واختلف ذانك المعنيان، فعد من البديع.[1]

وفي السيّاق ذاته يورد القاضي الجرجاني مثالا عدّه ممّا خالفه فيه النقاد وأخرجوه من الجناس المستوفي، يقول: "ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه بعض أهل الأدب قول الأعشى :

إنْ تَسُدِ الحوصَ فلم تَعدْهُم وعامِرٌ ساد بني عامر

فأقول إنه قد جانس بعامر وعامر ؛ لأن الأول اسم رجل، والآخر اسم قبيلة .[2]

وهو يخالف قول الآخر :

قتلنا بهخيرَ الضُبيْعا تكلّها ضُبَيْعة قيس لا ضُبَيْعةأَضْجَما

لأن كلتيهما قبيلتان فكأنما جمع بين رجلين متفقي الاسم.[3]

ج- **التجنيس الناقص** :

يقول القاضي الجرجاني: "ومنه التجنيس الناقص، كقول الأخنس بن شهاب:

وحامى لواء قد قتَلنا وحاملٍ لواءً منعنا والسيوف شوارع

فجانس " بحامى وحامل "، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الآخر.[4]

ومثله قول أبي تمام:

يمدّون من أيْدٍ عواص عواصم تطول بأسياف قواضٍ قواضب

فأما قوله:

خَلَّفْتَ بالأُفقِ الغربيّ لي سكناً قد كان عيشي به حُلواً بحلوان

فهو من الأول وليس بناقص ؛ لأن الألف والنون في حلوان زائدتان .[5]

د- **التجنيس المضاف** :

كقول البحتري :

أيا قمر التمام أعنت ظلماً عليّ تطاول اللّيل التمام

---

[1] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 42.

[2] – المصدر نفسه، ص 43.

[3] – أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 300.

[4] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 43.

[5] – المصدر نفسه، ص 43.

ومعنى التمام واحد في الأمرين ولو انفرد لم يعد تجنيسا ولكن أحدهما صار موصولا بالقمر والآخر موصولا باللّيل فكانا كالمختلفين .[1]

وقد يكون من هذا الجنس ما تجانس به المفرد بالمضاف، وقد تكون الإضافة اسما ظاهرا ومكنيا، وقد تكون نسبا، ومن أملح ماسمعت فيه قول أبي الفتح بن العميد :

فإن كان مسخوطا فقل شعر كاتب و إن كن مرضيا فقل شعر كاتب .[2]

4- المطابقة:

الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهما قد يكونان اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أو مختلفين.[3] ويسمى بالمطابقة، وبالتضاد، وبالتطبيق، وبالتكافؤ، والتطابق، وهو الجمع في الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين أو النقيضين أو الإيجاب والسلب، أو التضايف، والطباق ضربان :

أحدهما طباق الإيجاب والآخر طباق السلب .[4]

ويرى القاضي الجرجاني أن المطابقة "لها شعب خفية، وفيها مكامن تَغْمُضُ، وربما التبست بها أشياء، لا تتميّز إلا للنظر الثاقب، والذهن اللّطيف، ولاستقصائها موضع هو أملك به، ولم نفتح هذا الكلام، وقصدنا ما جرى بنا القول إليه، لكن الحديث شجون، وربما احتاج الشيء إلى غيره فذُكر لأجله، وربما اتصل بما هو أجنبي منه فاستصحبه ".[5]

ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دِعبَل :

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضحِك المشيب برأسه فبكى

وقول مسلم بن الوليد :

مُسْتَعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب.[6]

والمطابقة في بيت دعبل تمثلت في "ضحك وبكى"

---

[1]- أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي، ص 300.

[2] - القاضي الجرجاني : الوساطة ،ص 44.

[3] - السيّد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ،ص 303.

[4]- المرجع نفسه، ص 303.

[5] - القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 44.

[6]- المصدر نفسه، ص 44.

وفي بيت مسلم بن الوليد بين "يبكي، يضحك" وهي مطابقة إيجاب .

والقسم الثاني ما كانت المطابقة فيه بالنفي كقول البحتري :

يُقَيَّضُ لي من حيث لا أعلم الهوى ويسرى إليَّ الشوق من حيث أعلم

لما كان قوله "لا أعلم" كقوله "أجهل" وكان قوله أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته .[1]

ومن أغرب ألفاظه وألطفْ ما وُجد منه قول أبي تمام:

مَها الوَحْشِ إلاّ أنَّ هاتا أَوانِسُ قنا الخطّ إلا أنَّ تلكَ ذَوابِلُ

فطابق ب "هاتا وتلك"، وأحدهما للحاضر، والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى، وبمنزلة الضدين .[2]

5- **التصحيف** :

هو التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر : بحيث لو أزيل أو غيّر نقط الكلمة كانت عين الثانية، نحو التّخلي، ثم التحلّي، ثم التجلّي.[3]

ويقول القاضي الجرجاني:" ومن أصناف البديع التصحيف ؛ كقول الشاعر :

ولم يكن المغترّ بالله إذ سَرى لِيُعْجِزَ، والمعتَزّ بالله طالِبُه

وقوله :

فكأنّ الشليلَ والنّثرة الحَصْ داء منه على سليل غريف

وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس؛ لكن ما أمكن فيه التصحيف فله بابٌ على حِياله، وجانب يتميّز به عن غيره."[4]

6- **التقسيم** :

"هو أن يذكر متعدّد، ثم يضاف إلى كلّ من أفراده ماله على جهة التعيين".[5]

والتقسيم لدى القاضي الجرجاني ما يكون موصولا، كقول زهير:

---

[1] – عبده عبد العزيز قليقله : القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 377.

[2] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 45.

[3] – السيّد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص 330.

[4] – القاضي الجرجاني : الوساطة ،ص 46.

[5] – السيّد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص 311.

يطعنهم مارتموا حتى إذا اطّعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا [1]

فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللّقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولا به، مقرونا إليه ونحو قول عنترة :

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا أشدد وإن نزلوا بضيق أنزَل

فهذا كالأول في الصنعة، وإن كان إنما أزوج كل قسم بقرينه،وماهو وفْقه، ولم يرض الأولُ إلاّ بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قُدُما، وارتفع عليه درجة .[2]

والنوع الثاني : القسمة المطلقة غير مشفوعة، كقول النابغة :

فللّه عينا من رأى أهلَ قبة أضرّ لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظم أحلاما أكرم سيدا وأفضل مشفوعا إليه وشافعاً

هذا ضرب من التقطيع على معانٍ مختلفة؛ ولست أسمح بتسميته تقسيما؛ وقد رأيت من يطلق له هذه السِّمة.[3]

7- جمع الأوصاف :

يقول القاضي الجرجاني: "ومما يقاربُ هذا جمع الأوصاف، كقول أبي دؤاد:

بعيد مدى الطرف خاظي البضيع مُمَرُ المَطا سَمْهري العَصَبْ

وقد يجمع على قول آخر كقول النابغة :

حديدُ الطَّرْفِ والمنكِـ ـب والعرقوبِ والقلبِ

وقد يعد فيه التقفية والترصيع، كقول امرئ القيس:

والماءُ منهمرٌ والشَدُّ منحدِرْ مُضْطَمِرٌ والمتن ملحوبُ.[4]

[1] – القاضي الجرجاني : الوساطة، ص 47.

[2] – المصدر نفسه، ص 47.

[3] – القاضي الجراني : الوساطة، ص 47.

[4] – المصدر نفسه، ص 48.

وقد يمتنع بعض الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعا؛ لكنه أحد أبواب الصنعة، ومعدود في حليْ الشعر، وله أشباه تجري مجراه، وتذكر معه؛ كالالتفات والتوصل وغيرهما، ولو أقبلنا على استيعابها، وتمييز ضروبها وأصنافها لاحتجنا إلى اتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال، ولو فعلنا ذلك لبخسنا أبا الطيب حقه، وافتتحنا الكتاب بذكره ثم شغلنا معظمه بغيره؛ وإنما قدمنا هذا النَّبذَ توطئة لما تذكره على أثره، وتدريجا إلى ما بعده ؛ ليكون كالشاهد المقبول قوله، وبمنزلة المسلم أمره.[1]

[1] القاضي الجرجاني: الوساطة، ص 48

خاتمة

بعد هذه الغامرة النقدية التي حاولنا من خلالها أن نلمّ بقضايا النقد التي عالجها القاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه "، ومحاولة التعرف عليها، إذ لم نتطرق إلى كل القضايا لأنه يصعب الإلمام بها كلها وحصرها ؛ فبعضها يتعلق بفروع جزئية.

نلخص بعضها انطلاقا من نسق البحث:

- أن من واجب العلماء والأدباء أن يتواصلوا، ويحمي بعضهم عرض بعض، وأن يعدّلوا في أحكامهم.
- إحاطة الجرجاني بطبيعة الشعر العربي قديمه وحديثه مع تحديد آفاق التجديد التي طرأت عليه.
- أن التحامل الذي كان على المتنبي إنما هي في جوهرها اعتراضات على التجديد والتجاوز الذي أدخله هذا الشاعر الكبير على الشعر العربي القديم.
- تأثر القاضي الجرجاني بعمله في ميدان القضاء وما كان يصدره من أحكام ويعالجه من قضايا فقد استخدم القاضي الكثير من مصطلحات القضاء منها : العدل، الدفاع، الحكم، الشهادة، البيّنة....
- دعوة القاضي الجرجاني إلى مبدأ المعاملة بالمثل.
- بقاء التفكير النقدي عند القاضي متأرجحا بين ايثار الشعر العربي القديم وأسسه الجمالية الممثلة في "عمود الشعر" والدّفاع عن إنجازات المذهب الجديد "البديع" من خلال دفاعه عن المتنبي.
- تحديد القاضي الجرجاني خاصيات النّاقد المتمكن.
- السرقة عنده باب نقدي واسع يراد منه إنصاف الشعراء المحدثين .

ومن هنا نرى أن كتاب الوساطة من كتب النقد المهمة، فقد استطاع مؤلفه "القاضي الجرجاني" أن يستوعب الآراء النقدية كلها ويصوغها ويستفيد منها في الدفاع عن المتنبي ويستغلها في مناقشة الآراء.

قائمة المصادر والمراجع

📖 القرآن الكريم (رواية ورش)

أولا: المصادر والمراجع :

1- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب "نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري"، دار الشرق للنشر، ط، 2001م.

2- أحمد أحمد بدوي : نوابغ الفكر "القاضي الجرجاني "، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1964م.

3- أحمد الشايب : أصول النقد الادبي ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،مصر، ط7، 1964 م.

4- أحمد امين: النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1963م،ج1.

5- أحمد مطلوب : اتجاهات النقد الأدبي "في القرن الرابع للهجرة"، وكالة المطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1973م.

6- سميح إبراهيم الصالح: ديوان القاضي الجرجاني ، دار البشائر ، دمشق، سوريا، دط، دت.

7- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة "في المعاني والبيان والبديع "، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دت.

8- طه أحمد ابراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب "من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري"، دط، دت.

9- عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت، لبنان، ط2، 1972م.

10-عبده عبد العزيز قلقيله: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م،ط3.

11- عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية "علم المعاني، البيان ، البديع"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

12-عدنان عبيدات : الاتجاهات النقدية عند شراح ديوان المتنبي القدماء، وزارة الثقافة، عمان، دط،2002 م.

13- علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا-بيروت.

14- عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب "مدخل على نظرية الادب العربي "، الفكر المعاصر ،بيروت ،لبنان، دار الفكر،دمشق-سوريا،ط1، 2000م.

15- الفيروز آبادي مجد الدين : القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر ،بيروت ،لبنان، ط8، 2005م.

16- محمد تحريشي : النقد والإعجاز، منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق،سوريا،دط،2004م.

17- محمد عبد الرحمن شعيب :

المتنبي بين ناقديه "في القديم والحديث"، دار المعرف بمصر، القاهرة، مصر، دط،1964م.

18- محمد كريم الكواز :

البلاغة والنقد "المصطلح و النشأة والتجديد"، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

19- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت.

20- أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1983 م، ج1.

21- ياقوت الحموي: معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب "، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج4.

ثانيا : الرسائل الجامعية :

22-شهيرة برباري : الخطاب النقدي في كتاب" الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، مذكرة ماجستير ،جامعة محمد خيضر، بسكرة،2011/2010م.

ثالثا :الدوريات:

23-حسن أبُّ الرب: القيمة النقدية لكتاب الجرجاني "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، جامعة النجاح للأبحاث "العلوم الإنسانية "، نابلس، فلسطين، ع2، م21، 2007م.

فهرس المحتويات

شكر

اهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول :

الحياة النقدية في القرن الرابع الهجري

المبحث الأول: مفهوم النقد.....2

مفهوم النقد: لغة : 2

النقد اصطلاحا :.....2

المبحث الثاني : حركة النقد في القرن الرابع الهجري 4

حركة النقد في القرن الرابع الهجري : 4

الاتجاهات النقدية في القرن الرابع : 5

المبحث الثالث : القاضي الجرجاني و"الوساطة " [المؤلِّف والمؤلَّف].....14

القاضي الجرجاني : 14

كتاب الوساطة :.....18

الفصل الثاني:

الآراء النقدية التي عالجها القاضي الجرجاني

المبحث الأول: الآراء النقدية التي عالجها كتاب الوساطة.....25

الناقد: 25

الشعر بين القدماء والمحدثين :.....26

تطور الشعر وأثر التكلف: 27
عمود الشعر: 29
التحامل في نقد المحدثين : 31
السرقات الشعرية : 32
الدفاع عن المتنبي: 36
المبحث الثاني : البلاغة في كتاب الوساطة 40
1- الاستعارة : 40
2- التشبيه: 42
3- الجناس: 43
4- المطابقة: 46
5- التصحيف : 47
6- التقسيم : 47
7- جمع الأوصاف : 48
الخاتمة : 50
المصادر والمراجع: 52